المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان

بعيون النساء

تقرير للمركز الفلسطيني لحقوق الإنسان حول الآثار والتبعات المتصلة بالنوع الاجتماعي المترتبة على عملية الرصاص المصبوب

٢٠٠٩

المحتويات

مقدمة ٥

أقسام التقرير ٦

الضحايا الإناث للاعتداءات الإسرائيلية ٧

الحصار الإسرائيلي المفروض على قطاع غزة ١٠

القانون الدولي ١١

الإطار القانوني المستخدم ١١

القواعد المنظمة لإدارة العمليات القتالية ١٢

الاستهداف المباشر للمدنيين ١٣

دراسة حالة رقم ١: وفاء الرضيع ١٤

دراسة حالة رقم ٢: هالة الهباش ١٧

دراسة حالة ٣: ماجدة وريا أبو حجاج ٢٠

دراسة حالة ٤: غالية نمر ٢٣

الاستهداف المباشر للأعيان المدنية وتدميرها ٢٦

دراسة حالة رقم ٥: هالة حرز الله ٢٧

دراسة حالة رقم ٦: انتصار حمودة ٣٠

دراسة حالة رقم ٧: وفاء عواجة ٣٤

الهجمات العشوائية ٣٨

دراسة حالة رقم ٨: ليلى العر ٣٩

دراسة حالة رقم ٩: صباح أبو حليمة ٤٣

دراسة حالة رقم ١٠ – مسعودة السموني ٤٦

عدم اتخاذ الاحتياطات الكافية عند شن الهجوم ٥٠

دراسة حالة رقم ١١: نجود الأشقر ٥٢

أثر الحصار ٥٦

دراسة حالة رقم ١٢: رغدة عبد ربه ٥٧

تحقيقات في عملية الرصاص المصبوب ٦٠

تعليقات ٦١

الملحق رقم ١: الضحايا الإناث لعملية الرصاص المصبوب ٦٢

مقدمة

أسفر العدوان الأخير – الذي أطلقت عليه سلطات الاحتلال الإسرائيلي اسم عملية «الرصاص المصبوب» – عن مقتل ١١٨ من النساء الفلسطينيات، وإصابة ٨٢٥ أخريات.[١] وفي المجمل، فقد قتل ١٤١٤ فلسطينياً، من بينهم ١١١٧ مدنياً (٨٣٪). وفضلاً عن ذلك، جرح ٥٣٠٣ آخرون، وتم تدمير جزء كبير من البنية التحتية في قطاع غزة، فعلى سبيل المثال، تم تدمير ٢١١٤ منزلاً تدميراً كلياً بينما أضحى ٣٢٤٢ منزلاً غير صالحة للسكن، وهو ما ترك ٥١٨٤٢ شخصاً دون مأوى. ومع ذلك، لا يمكن قياس الأثر الحقيقي للعدوان من خلال الإحصائيات والأرقام وحدها. ولكن وعلى الرغم من أن أعداد القتلى والجرحى تشير إلى البعد الإنساني الخطير لهذا الصراع، إلا أن الحجم الحقيقي للمعاناة يكمن في الواقع اليومي للحياة في قطاع غزة في أعقاب عملية الرصاص المصبوب، حيث يكافح المدنيون من أجل إعادة بناء حياتهم، والتعايش مع خسائرهم، واستعادة بعضاً من كرامتهم الإنسانية.

وتستمر الحياة في قطاع غزة، حيث يجب لها أن تستمر. لكن الآثار القائمة للحصار والشواهد المرئية التي تذكر بالجراح والدمار تجعل من الحالة السوية – حتى في مقاييس قطاع غزة – درباً من الخيال. إن الشواهد التي تذكر بالمأساة قائمة إلى الأزل، وكلها شواهد حقيقية محضة. في أثناء إعداد هذا التقرير، وبعد مرور ستة أشهر على إعلان إسرائيل لوقف إطلاق النار من جانب واحد بتاريخ ١٨ يناير ٢٠٠٩، لا يزال قطاع غزة ساكناً بلا حراك، حيث لا يزال الوضع في غزة تماماً كما كان عليه في اليوم الذي انتهى فيه العدوان. ولا تزال الآثار المرئية التي خلفها العدوان قائمة، ولا يزال الردم والركام يتناثران في شوارع غزة، ولا يزال هناك الآلاف من المشردين، ولا تزال العائلات مجبرة على العيش في منازل مدمرة، ولا يزال الدم يصبغ الأرضيات، ولا تزال آثار الرصاص الذي اخترق الجدران شاهداً حياً. في بعض الحالات، لا يزال الضحايا مجبرين على رؤية الرسوم العنصرية والعدائية التي نقشها الجنود الإسرائيليون على جدران منازلهم.

وقد أصدر المركز هذا التقرير من أجل تسليط الضوء على الآثار المتصلة بالنوع الاجتماعي لعملية الرصاص المصبوب والحصار الإسرائيلي غير القانوني. بسبب الطبيعة الأبوية للمجتمع الفلسطيني، فإن النساء في قطاع غزة – ضحايا التمييز في زمن السلم – معرضات للتهميش والفقر والمعاناة التي يجلبها الصراع المسلح والاحتلال. وعادة ما تترتب على الاعتداءات الإسرائيلية تبعات متصلة بالنوع الاجتماعي لا تحظى بالاهتمام على الرغم من خطورتها. لذا فإن المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان ارتأى أن يفتح الباب أمام هذه التبعات وواقع الحياة بعد العدوان لكي تتكشف من خلال كلمات الضحايا. وعلى الرغم من أن هذا التقرير ليست له أرضية في القانون الدولي، إلا أن من المناسب أن يتم التعبير عن حقوق الإنسان والمعاناة الإنسانية من خلال القصص الإنسانية.

في قطاع غزة، يترأس الرجال أسرهم وهم المعيلون الرئيسيون لهذه الأسر. وتقتحم النساء الأرامل هذا المضمار ويلعبن هذا الدور فيجدن أنفسهن ضحايا للتمييز الثقافي وللتهميش الاقتصادي والاجتماعي. في قطاع غزة، من الصعب جداً على النساء العيش وحدهن، وعليه تضطر النساء الأرامل إلى الاختيار ما بين العودة إلى منازل عائلاتهن أو أن يتزوجن مرة أخرى. وكلا الخيارين صعبان بينما تحاول النساء التعافي من الجراح التي خلفها العدوان وإعادة بناء حياتهن وحياة أطفالهن. في قطاع غزة، ينظر إلى النساء على أنهن مقدمات الرعاية الرئيسيات، وتضطر الكثير من النساء في الوقت الحاضر إلى رعاية أفراد أسرهن في مآوي مؤقتة أو في منازل أقربائهن المكتظة بساكنيها وغيرهم. في ظل هذا الوضع، عادة ما ينشأ صراع اجتماعي وحالة من التوتر.

بموجب النظام القانوني الحالي المعمول به في قطاع غزة، قد تحتفظ النساء الأرامل بحضانة أطفالهن ما لم يتزوجن مرة أخرى[٢]، وفي حال الزواج مجدداً، تئول حضانة الأطفال إلى عائلة الزوج.

يتناول التقرير حالات ١٢ امرأة تأثرن بالاعتداءات الإسرائيلية خلال عملية الرصاص المصبوب. والهدف من هذه الأمثلة هو إظهار حجم المعاناة التي تكبدها المدنيون في قطاع غزة، والصعوبات المستمرة التي يواجهونها نتيجة للدمار الذي تسببت فيه قوات الاحتلال الإسرائيلي والحصار الجائر.

ويسلط التقرير الضوء على الصعوبات التي تواجهها النساء في قطاع غزة بينما يحاولن التعايش مع أحزانهن

١ تم الحصول على عدد النساء اللائي جرحن خلال العدوان من الإحصائيات التي أصدرتها وزارة الصحة في غزة.

٢ تم تمرير هذا التعديل على القانون من قبل حكومة غزة بتاريخ ٧ يونيو ٢٠٠٩، وأصبح ساري المفعول ابتداءً من ٧يوليو ٢٠٠٩.

ومصابهن، وفقدان أبنائهن وأزواجهن وأقربائهن، ومنازلهن، ومصادر رزقهن. وهذه الروايات معبرة، ليس فقط عن المحن التي تواجهها النساء في قطاع غزة، بل أيضاً عن الصمود والقوة التي أظهرتها النساء على مدار ٤٢ عاماً من الصراع والاحتلال.

إن الحصار الإسرائيلي المفروض – وهو آلية غير قانونية للعقاب الجماعي ضد سكان قطاع غزة – يجعل من عملية التعافي وإعادة الإعمار أمراً مستحيلاً. من ناحية أخرى، فإن الوضع الاقتصادي المتردي يعني أن الكثير من النساء ينزلقن وأسرهن أكثر فأكثر إلى أعماق الفقر المدقع. لقد عانت هؤلاء النسوة مع أسرهن من ويلات الحرب غير الشرعية، وهن الآن يكافحن من أجل البقاء فحسب.

استمرت عملية الرصاص المصبوب لمدة ٢٣ يوماً، ولكن تبعاتها لا تزال محسوسة،[٢] فقد عملت دولة إسرائيل على الحيلولة دون إمكانية إعادة بناء حياة 'عادية'، وستواصل عملية الرصاص المصبوب قرع أجراسها الوحشية إلى أن يتم رفع الحصار الجائر.

أقسام التقرير

تم تقسيم هذا التقرير، «بعيون النساء»، إلى خمسة أقسام، يتصل كل قسم منها بأحد الانتهاكات الخطيرة للقانون الدولي الإنساني أو للقانون الدولي لحقوق الإنسان: ١) الاستهداف المباشر للمدنيين؛ ٢) الاستهداف المباشر والتدمير للأعيان المدنية؛ ٣) شن الهجمات العشوائية؛ ٤) عدم اتخاذ الاحتياطات اللازمة عند شن أي هجوم؛ و٥) آثار الحصار. وتم اختيار هذا التقسيم ليعكس حجم الجرائم التي ارتكبتها قوات الاحتلال الإسرائيلي خلال عملية الرصاص المصبوب. وهنا يؤكد المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان على أن هذه التصنيفات ليست مستقلة بذاتها، ففي العديد من الحالات شكلت الهجمات الموثقة انتهاكات للعديد من مبادئ القانون الدولي الإنساني. على سبيل المثال، تم تصنيف حالة وفاء عواجة تحت بند الاستهداف المباشر والتدمير للأعيان المدنية، ولكن في هذا الحادث أيضا استهدفت قوات الاحتلال الإسرائيلي مدنيين بشكل مباشر، وهو ما يعد جريمة حرب، وقتلت إبراهيم عواجة عمداً في مخالفة جسيمة لاتفاقيات جنيف. كذلك تم تصنيف حالة صباح أبو حليمة تحت بند الهجمات العشوائية، إلا أن هذا الحادث يشكل مخالفة جسيمة لاتفاقيات جنيف (جريمة القتل العمد).

٢ نتيجة للحصار المتواصل، إلى جانب أمور أخرى.

الضحايا الإناث للاعتداءات الإسرائيلية

كانت النساء ضحايا للعديد من الاعتداءات الإسرائيلية، خلافاً للحماية الواضحة التي يمنحها القانون الدولي الإنساني للنساء (باعتبارهن من المدنيين). وفي الكثير من الحالات التي وثقها المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان، وكما هو موضح في هذا التقرير، ترقى هذه الاعتداءات إلى مستوى جرائم حرب ومخالفات جسيمة لاتفاقيات جنيف.

منذ بدء الانتفاضة الثانية في سبتمبر من العام ٢٠٠٠، قتلت ٢٨١ امرأة في هجمات إسرائيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة. من بين هؤلاء النساء، كانت ١٦٣ امرأة قد قتلن قبل بدء عملية الرصاص المصبوب في ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٨، من بينهن ٩٩ امرأة في قطاع غزة و ٦٤ امرأة في الضفة الغربية.

القتلى في صفوف النساء خلال سنوات الانتفاضة في الضفة الغربية وقطاع غزة قبل العدوان الأخير

سبتمبر ٢٠٠٠ – ٢٦ ديسمبر ٢٠٠٨

السنة	قطاع غزة	الضفة الغربية
٢٠٠٠	٠	٤
٢٠٠١	٣	١٢
٢٠٠٢	٢٠	٣٠
٢٠٠٣	١٥	٥
٢٠٠٤	٨	٤
٢٠٠٥	١	٣
٢٠٠٦	٣١	٦
٢٠٠٧	٤	٠
٢٠٠٨	١٧	٠

في السنوات الأولى من الانتفاضة الثانية، كانت غالبية النساء من ضحايا الهجمات الإسرائيلية في الضفة الغربية، ولكن في العام ٢٠٠٣ حدث تحول حيث قتل عدد أكبر من النساء في قطاع غزة.

القتلى في صفوف النساء خلال سنوات الانتفاضة في الضفة الغربية وقطاع غزة قبل العدوان الأخير

سبتمبر ٢٠٠٠ – ٢٦ ديسمبر ٢٠٠٨

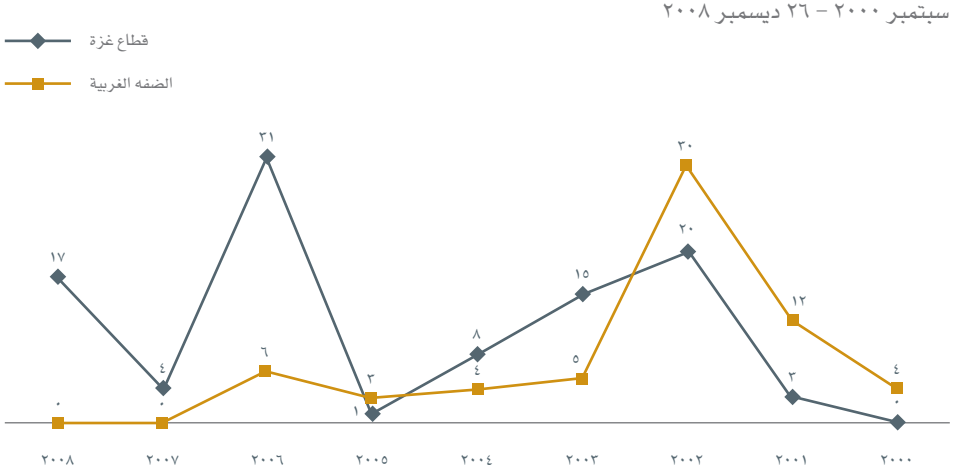

يلاحظ حدوث ارتفاع كبير في عدد النساء القتلى في قطاع غزة خلال الأيام الثلاثة والعشرين من عملية الرصاص المصبوب، حيث قتلت في العملية ١١٨ امرأة بينما أصيبت ٨٢٥ امرأة أخرى بجراح.[٤] وكان لمنطقتي شمال قطاع غزة ولمدينة غزة، اللتين شهدتا أعنف الاشتباكات وعمليات القصف، النصيب الأكبر من عدد الضحايا من الإناث.

٤ تم الحصول على عدد النساء اللائي جرحن في العدوان من الأرقان التي أصدرتها وزارة الصحة في غزة.

النساء اللاتي قتلن في عملية الرصاص المصبوب موزعات حسب المنطقة
٢٧ ديسمبر ٢٠٠٨ – ١٨ يناير ٢٠٠٩

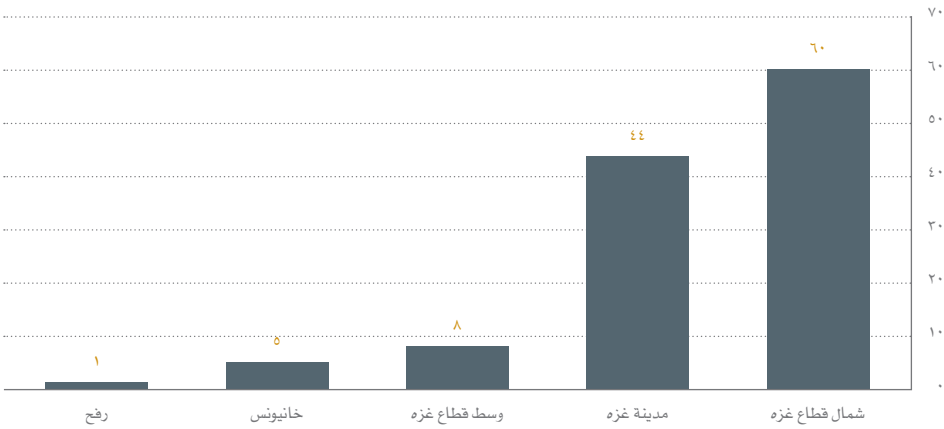

لقد ادعت السلطات الإسرائيلية على الدوام بأن قتل المدنيين في قطاع غزة قد تم فقط في سياق الرد على عمليات إطلاق صواريخ أو على شن هجمات مسلحة أخرى. كما تدعي إسرائيل بأن عمليات قتل المدنيين هذه تشكل أحد العناصر التي لا يمكن تجنبها في العمليات العسكرية وأن كافة الجهود تبذل من أجل تجنب وقوع إصابات في صفوف المدنيين. يدحض المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان الإدعاءات الإسرائيلية بأن عمليات قتل المدنيين قد تمت فقط في السياق الطبيعي للعمليات العسكرية.، فقد وثق المركز حالات لا حصر لها من الهجمات العشوائية وغير المتناسبة، وعدم اتخاذ الاحتياطات اللازمة عند شن الهجمات، والاستهداف المباشر للمدنيين والأعيان المدنية. إن هذه الجرائم تشكل انتهاكات خطيرة للقانون الدولي وبالتالي فإنها تتطلب إنصافاً قضائياً.

ورداً على الأعداد المرتفعة للمدنيين الذين قتلوا أثناء عملية الرصاص المصبوب (٨٣٪ من الضحايا القتلى هم من المدنيين)، ادعت إسرائيل بأن حماس استخدمت المدنيين كدروع بشرية، وبالتالي فقد عرضتهم للخطر. لقد قام المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان بالتحقيق في هذه الإدعاءات، ووجد أن لا أساس لها من الصحة. وبينما هناك الكثير من الأدلة والإثباتات على قيام القوات الإسرائيلية باستخدام الدروع البشرية – وهو ما يشكل جريمة حرب وفقاً للمادة ٨(٢)(ب)(٢٣) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية – لم يجد المركز دليلاً على استخدام حماس، أو أي فصيل فلسطيني آخر، للدروع البشرية. كما أكدت منظمة العفو الدولية في تقريرها الشامل حول عملية الرصاص المصبوب أن فريقها لم يجد دليلاً واحداً على استخدام الفصائل الفلسطينية للدروع البشرية، بينما توصلت منظمة العفو الدولية إلى أنه "في كثير من الحالات خلال عملية 'الرصاص المصبوب'، أجبرت القوات الإسرائيلية مدنيين فلسطينيين على أن يكونوا 'دروعاً بشرية'."[٥]

وكما هو موثق في هذا التقرير وفي غيره من الإصدارات، يعتقد المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان بأن قوات الاحتلال الإسرائيلي قد قامت في العديد من الحالات باستهداف مدنيين فلسطينيين، من بينهم نساء وأطفال، بشكل مباشر. كما يرى المركز بأن قوات الاحتلال لم تتخذ الاحتياطات اللازمة قبل شن الهجمات ولم تلتزم بقواعد القانون الدولي الإنساني. إن حجم الإصابات في صفوف المدنين والدمار الذي لحق بالممتلكات المدنية وكذلك إدارة إسرائيل للعمليات القتالية تشير في أحسن الأحوال إلى الإهمال المتعمد. لقد تم توثيق عدد لا حصر له من الجرائم التي ترقى إلى مستوى جرائم الحرب والمخالفات الجسيمة لاتفاقيات جنيف. ويعتقد المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان بإن الانتهاكات المنظمة وواسعة النطاق للقانون الدولي الإنساني التي ارتكبتها قوات الاحتلال الإسرائيلي في قطاع غزة قد ترقى إلى مستوى جرائم ضد الإنسانية.

خلال عملية الرصاص المصبوب، كان المدنيون الفلسطينيون، بمن فيهم النساء، عرضة للرعب الحقيقي الذي تسببه الحرب. ووفقاً لما ذكره مقرر الأمم المتحدة الخاص بحقوق الإنسان في الأراضي الفلسطينية المحتلة، فقد كان هذا النزاع المسلح هو الأول في التاريخ الحديث الذي يحرم فيه المدنيون من الحق في الفرار، حيث أبقت إسرائيل على

٥ منظمة العفو الدولية، عملية 'الرصاص المصبوب': ٢٢ يوماً من الموت والتدمير، المرجع MDE 15/015/2009

إغلاق الحدود.[٦] لقد قتلت الكثير من العائلات بينما كانت تحتمي في بيوتها. وفي العديد من الحالات، أبيدت عائلات بأكملها عندما تعرضت منازلها لهجمات مباشرة، بينما فر الآلاف من الفلسطينيين إلى المرافق والمراكز التابعة لوكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين معتقدين بأنهم سيكونون أكثر أمناً هناك. وكما هو موثق في هذا التقرير، ووفقاً لما تؤكده لجنة التحقيق التابعة للأمم المتحدة، شنت قوات الاحتلال الإسرائيلي هجمات على مرافق وكالة الغوث التي كان من المفترض أن تكون آمنة. لم يكن هناك مكان آمن للجوء إليه في قطاع غزة.

سياقات قتل الإناث خلال عملية الرصاص المصبوب

٢٧ ديسمبر٢٠٠٨ – ١٨ يناير ٢٠٠٩

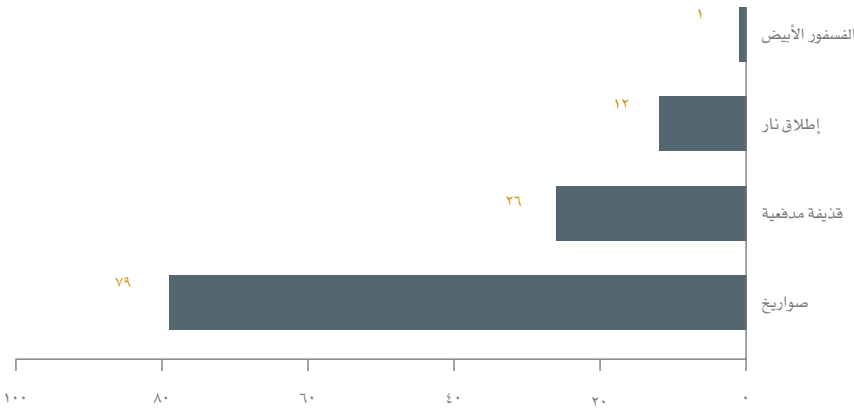

٦ ريتشارد فولك، تقرير المقرر الخاص بحقوق الإنسان في الأراضي الفلسطينية المحتلة في العام UN.Doc.A/HRC/10/20,17.1967 مارس ٢٠٠٩.

الحصار الإسرائيلي المفروض على قطاع غزة

يمثل الحصار الإسرائيلي المفروض على قطاع غزة شكلاً من أشكال العقاب الجماعي، خلافاً للمادة ٣٣ من اتفاقية جنيف الرابعة. وقد مر حتى الآن أكثر من عامين متتالين على فرض الحصار على قطاع غزة، وهو ما ساهم بشكل مباشر في خلق أزمة إنسانية متفاقمة في قطاع غزة. واليوم، وبعد مرور ما يقرب من ستة أشهر على إعلان إسرائيل وقف إطلاق النار من جانب واحد، لا يزال قطاع غزة يقبع في سجن، ورغم انتهاء العدوان، لا يزال الاحتلال قائماً.

ويجعل الحصار المفروض، الذي يشمل حظراً على دخول البضائع والمواد، من عمليات إعادة الإعمار والانتعاش شيئاً مستحيلاً. في ظل هذا الوضع، لا يستطيع السكان المدنيون إعادة بناء منازلهم، بينما تضطر العائلات المشردة إلى البقاء في المخيمات المؤقتة أو في منازل أقاربهم أو في منازل مستأجرة، ويستمر هذا الوضع مع استمرار الحصار المفروض. ولا تتوفر أية إمكانية لإزالة الركام الذي خلفه العدوان في قطاع غزة والذي يقدر حجمه بـ ٦٠٠٠٠٠ طن. ولا يتوفر حتى الاسمنت اللازم لبناء الأضرحة في قطاع غزة. ويتواصل منع الفلسطينيين من الدخول إلى قطاع غزة أو مغادرته، ولا يزال المرضى يموتون بسبب منعهم من تلقي العلاج الطبي. ولا يزال الاقتصاد في حالة انكماش مستمر، حيث وصلت معدلات البطالة والفقر والعوز واليأس إلى مستويات لم يسبق لها مثيل، فقد وصلت البطالة إلى ٦٠٪، بينما يقبع ما يقرب من ٨٠٪ من السكان في الفقر.

توشك خدمات الطوارئ الصحية في قطاع غزة على الانهيار بسبب نقص إمدادات الكهرباء والدواء وغيرها من التجهيزات الحيوية الضرورية لإنقاذ حياة الناس. وبسبب نقص الخدمات المتوفرة في غزة، يضطر العديد من المرضى إلى السفر إلى الخارج لتلقي العلاج الطبي، ولكن الحصار المفروض يجعل من تلقي العلاج الخارجي أمراً شبه مستحيل. تسمح إسرائيل فقط لعدد محدود من المرضى بالسفر عبر معبر بيت حانون (إيرز)، وعادة ما يكون ذلك بعد تأخير طويل. ومقارنة بالعام ٢٠٠٦، انخفض عدد المرضى الذين يسمح لهم بعبور معبر بيت حانون بنسبة ٦٨٪. وتشير تحقيقات المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان إلى أن ٦١ مريضاً قد ماتوا، حتى الآن، كنتيجة مباشرة للحصار. فضلاً عن ذلك، فإن الكثيرين من سكان قطاع غزة لا تتوفر لديهم مصادر ملائمة لمياه الشرب، حيث أن المضخات التي تقوم بضخ المياه لا تعمل بسبب انقطاع التيار الكهربائي. وحتى المواد الغذائية والبضائع الأساسية تصل بكميات قليلة، وتضطر أسر كثيرة إلى الاعتماد على المساعدات الغذائية التي توفرها وكالة غوث وتشغيل اللاجئين وغيرها من المنظمات الدولية.

تضع المادة ٤٣ من لوائح لاهاي مسئوليات محددة على عاتق إسرائيل، كونها قوة احتلال، فيما يتعلق بصيانة وتوفير البنية التحتية، الصحة، التعليم، نوعية الحياة، الملجأ، والأشغال العامة (بما في ذلك معالجة المياه العادمة، والطاقة، والمياه)، إلى جانب أمور أخرى، أي الظروف المادية التي يعيشها السكان الواقعون تحت الاحتلال. وتنص المادتان ٥٥ و ٥٦ من اتفاقية جنيف الرابعة، وبشكل واضح، على أن على دولة الاحتلال أن تعمل بأقصى ما تسمح به إمكانياتها على تزويد السكان بالمؤن الغذائية والإمدادات الطبية، وعلى صيانة المنشآت والخدمات الطبية والمستشفيات وكذلك الصحة العامة والشروط الصحية في الأراضي المحتلة. وتنص المادة ٦٩ من البروتوكول الإضافي الأول على أن تقوم سلطة الاحتلال بتأمين الكساء والفراش والمأوى.

كما ينتهك الحصار عدداً من حقوق الإنسان الأساسية من بينها: الحق في الحياة، والحق في مستوى معيشي ملائم، والحق في حرية التنقل والحركة، والحق في التمتع بأعلى مستوى من الصحة البدنية والنفسية ، والحق في التعليم، والحق في العمل.

كذلك يؤثر الحصار على سكان قطاع غزة البالغ عددهم ١,٥ مليون نسمة دون تمييز، حيث يخلف آثاراً مدمره كان لها وقعها على جميع النساء اللاتي تمت مقابلتهن في هذا التقرير، حيث حد الحصار من قدرتهن على إعادة بناء حياتهن ومنازلهن ومن قدرتهن على الحصول على معايير المعيشة الأساسية الضرورية للحفاظ على الكرامة الإنسانية.

القانون الدولي

في الصراعات الدولية المسلحة، مثل العدوان العسكري الإسرائيلي الأخير على قطاع غزة، تمنح النساء حماية خاصة بموجب القانون الدولي الإنساني ، بما في ذلك اتفاقية جنيف الرابعة الموقعة في العام ١٩٤٩. كما تتمتع النساء بحماية بموجب القانون الدولي لحقوق الإنسان ، خاصة اتفاقية مناهضة جميع أشكال التمييز ضد المرأة، والعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

يمنح القانون الدولي الإنساني حماية عامة للنساء كونهن من الأفراد الذين لا يشاركون بشكل مباشر في العمليات القتالية، ويمنحهن حماية خاصة كأفراد ضعفاء للغاية في أوقات الحرب. ولأن غالبية النساء في قطاع غزة هن من المدنيين، فإنهن يستفدن من جميع أنواع الحماية الممنوحة للأفراد المحميين بموجب القانون الدولي الإنساني العرفي، واتفاقية جنيف الرابعة. ويصون القانون الدولي الإنساني المبادئ الأساسية للمعاملة الإنسانية – بما في ذلك احترام الحياة والسلامة البدنية والنفسية – بينما يحظر، من بين جملة من الأمور، القتل العمد، والإكراه، والعقوبات الجماعية، والإجراءات الانتقامية، وتدمير الأعيان الضرورية لبقاء السكان المدنيين.

وبالرغم من أن دولة إسرائيل لم تصادق على النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، إلا أن هذا النظام يستخدم كمرجع في هذا التقرير، حيث يشتمل النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية على التعريف الأكثر شمولية لجرائم الحرب، والتي تشكل جميعها انتهاكات للقانون الدولي العرفي وهي بالتالي جرائم محظورة دولياً.

يشكل القانون الدولي الإنساني الإطار القانوني الأساسي الذي يجب من خلاله تحليل العدوان الذي شن على قطاع غزة، ومع ذلك تبقى الحماية التي يوفرها القانون الدولي لحقوق الإنسان ذات صلة وثيقة في أوقات الحرب. وبينما قد يتم استبدال بعض أحكام حقوق الإنسان ببنود أساسية محددة من القانون الدولي الإنساني ، تبقى حقوق الإنسان قابلة للتطبيق في كل الأوقات، وهي ذات صلة كبيرة فيما يتعلق بآثار العدوان، حيث يكافح المدنيون من أجل بناء حياتهم واستعادة العناصر الأساسية للكرامة الإنسانية.

الإطار القانوني المستخدم

إن الوضع القائم بين دولة إسرائيل وبين الفلسطينيين هو عبارة عن صراع دولي مسلح واحتلال حربي. وعليه، فإن الأجزاء المطبقة من القانون الدولي الإنساني تشمل اتفاقية جنيف الرابعة الموقعة في العام ١٩٤٩،[٧] أنظمة لاهاي لعام ١٩٠٧ والقانون الدولي الإنساني العرفي. كما أن البروتوكولين الإضافيين الملحقين باتفاقيات جنيف لهما علاقة وثيقة بهذا الوضع. وبالرغم من أن دولة إسرائيل تصادق على البروتوكولين، إلا أن الغرض من هذين البروتوكولين كان تفسير الأحكام المنصوص عليها في اتفاقية جنيف الرابعة، خاصة تلك المتعلقة بمبدأ التمييز، وإدارة الأعمال القتالية. وبالتالي فإن هذين البروتوكولين لهما صلة تفسيرية وثيقة. وكونها دولة طرفاً في المعاهدات الدولية الرئيسية في قانون حقوق الإنسان – بما في ذلك العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية،[٨] والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية،[٩] واتفاقية مناهضة جميع أشكال التمييز ضد النساء، واتفاقية حقوق الطفل[١٠] – فإن إسرائيل مقيدة بالالتزامات التي يفرضها قانون حقوق الإنسان. وفي رأيها الاستشاري بشأن التبعات القانونية المترتبة على بناء الجدار في الأراضي الفلسطينية المحتلة، أكدت محكمة العدل الدولية على انطباق العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية واتفاقية حقوق الطفل على إجراءات إسرائيل في الأراضي الفلسطينية المحتلة.[١١]

٧ العام الذي صادقت فيه إسرائيل على الاتفاقية.

٨ صادقت دولة إسرائيل على العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية في الثالث من يناير للعام ١٩٩٢.

٩ صادقت دولة إسرائيل على العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الثالث من يناير للعام ١٩٩٢.

١٠ صادقت دولة إسرائيل على اتفاقية حقوق الطفل في الثاني من نوفمبر للعام ١٩٩٢.

١١ التبعات القانونية المترتبة بناء جدار في الأراضي الفلسطينية، رأي استشاري، ٢٠٠٤، محكمة العدل الدولية ١٣٦ (٩ يوليو) الأقسام ١١٣ و ١١٢ ،١١١.

القواعد المنظمة لإدارة العمليات القتالية

المقاتلون والأهداف العسكرية -غير المقاتلين والأعيان المدنية

يهدف القانون الدولي الإنساني إلى الحد من المعاناة التي تسببها الحرب ولهذا فإنه يقضي بإبقاء المدنيين بعيدين عن نطاق العمليات القتالية قدر المستطاع. وبالتالي، يميز القانون الدولي الإنساني بين المقاتلين وغير المقاتلين.[١٢]

المقاتلون هم كافة أولئك اللذين يشاركون بشكل مباشر في العمليات القتالية وجميع من هم مكلفون بالمشاركة في العمليات القتالية. وهكذا، يعتبر أفراد أي طرف مسلح مشترك في العمليات القتالية، بما في ذلك مجموعات المقاومة المسلحة، أفراداً مقاتلين.

الأشخاص المحميون ببساطة هم جميع الأشخاص الذين لا ينتمون للقوات المسلحة.[١٣] وتشمل فئة الأشخاص المحميين، من بين من تشملهم، السكان المدنيين، والطواقم الطبية، ووحدات الدفاع المدني، وأفراد الشرطة، والمقاتلين الذين ألقوا أسلحتهم أو الذين أخرجوا من ساحة القتال. ويؤكد القانون الدولي الإنساني العرفي على أن جميع من هم ليسوا بمقاتلين يتمتعون بحصانة عامة، ولا يجوز توجيه الهجمات إليهم،[١٤] ويتم اتخاذ جميع الإجراءات الممكنة لتوفير الحماية لهم. كما ينص القانون الدولي الإنساني على أنه « وإذا ثار الشك حول ما إذا كان شخص ما مدنياً أم غير مدني فإن ذلك الشخص يعد مدنياً.»[١٥]

إن كافة الأعيان المدنية ليست أهدافاً عسكرية،[١٦] أما الأهداف العسكرية، كما تعرفها المادة ٥٢(٢) من البروتوكول الإضافي الأول الملحق باتفاقيات جنيف، فهي «تلك التي تسهم مساهمة فعالة في العمل العسكري سواء كان ذلك بطبيعتها أم بموقعها أم بغايتها أم باستخدامها، والتي يحقق تدميرها التام أو الجزئي أو الاستيلاء عليها أو تعطيلها في الظروف السائدة حينذاك ميزة عسكرية أكيدة.»

وينص القانون الدولي الإنساني على أنه «إذا ثار الشك حول ما إذا كانت عين ما تكرس عادةً لأغراض مدنية ... إنما تستخدم في تقديم مساهمة فعالة للعمل العسكري، فإنه يفترض أنها لا تستخدم كذلك.»[١٧] وبالنسبة للأعيان التي يظهر بأنها مدنية، يجب التسليم بأنها مدنية.

مبدأ التمييز

من أجل توفير الحماية لغير المقاتلين، وضع مبدأ التمييز كحجر زاوية للقانون الدولي الإنساني. ينص القانون الدولي الإنساني العرفي على أن «يميز أطراف النزاع في جميع الأوقات بين المدنيين والمقاتلين. وتوجه الهجمات إلى المقاتلين فحسب، ولا يجوز أن توجه إلى المدنيين.»[١٨] كذلك «يميز أطراف النزاع في جميع الأوقات بين الأعيان المدنية والأهداف العسكرية. ولا توجه الهجمات إلا إلى الأهداف العسكرية فحسب، ولا يجوز أن توجه إلى الأعيان المدنية.»[١٩]

إن مبدأ التمييز يوفر الحماية لغير المقاتلين وللأعيان المدنية بطريقتين أساسيتين: الأولى، ألا يهاجم المدنيون والأعيان المدنية بشكل مباشر،[٢٠] والثانية، أن من الواجب اتخاذ جميع الاحتياطات العملية عند شن أي هجوم من أجل تجنب إلحاق أذى غير ضروري بغير المقاتلين.[٢١]

---

١٢ القاعدة ١، جون-ماري هنكرتس ولويز دوزوالد - بك، القانون الدولي الإنساني العرفي، المجلد الأول: القواعد، اللجنة الدولية للصليب الأحمر.

١٣ القاعدة ٥، جون-ماري هنكرتس ولويز دوزوالد - بك، القانون الدولي الإنساني العرفي، المجلد الأول: القواعد، اللجنة الدولية للصليب الأحمر.

١٤ القاعدة ١، جون-ماري هنكرتس ولويز دوزوالد - بك، القانون الدولي الإنساني العرفي، المجلد الأول: القواعد، اللجنة الدولية للصليب الأحمر.

١٥ المادة ٥٠ (I)، البروتوكول الأول الإضافي.

١٦ القاعدة ٩، جون-ماري هنكرتس ولويز دوزوالد - بك، القانون الدولي الإنساني العرفي، المجلد الأول: القواعد، اللجنة الدولية للصليب الأحمر.

١٧ المادة ٥٢ (٣)، البروتوكول الإضافي الأول.

١٨ القاعدة ١، جون-ماري هنكرتس ولويز دوزوالد - بك، القانون الدولي الإنساني العرفي، المجلد الأول: القواعد، اللجنة الدولية للصليب الأحمر. انظر المادة ٤٨ من الملحق الإضافي الأول.

١٩ القاعدة ٧، جون-ماري هنكرتس ولويز دوزوالد - بك، القانون الدولي الإنساني العرفي، المجلد الأول: القواعد، اللجنة الدولية للصليب الأحمر

٢٠ القاعدة ١، جون-ماري هنكرتس ولويز دوزوالد - بك، القانون الدولي الإنساني العرفي، المجلد الأول: القواعد، اللجنة الدولية للصليب الأحمر.

٢١ القاعدة ١٥، جون-ماري هنكرتس ولويز دوزوالد - بك، القانون الدولي الإنساني العرفي، المجلد الأول: القواعد، اللجنة الدولية للصليب الأحمر.

الاستهداف المباشر للمدنيين

«... إن رأينا شيئاً مثيراً للشك وأطلقنا النار، فإن من الأفضل أن نصيب بريئاً على أن نتردد في استهداف عدو.»

شهادة رقم ٢٣، تقرير كسر الصمت الخاص بعملية الرصاص المصبوب

«... لست بحاجة لأن يتم إطلاق النار عليك... إن رأيت أي حركة مهما كانت، أطلق النار. هذه، بشكل أساسي، كانت قواعد الاشتباك. أطلق النار إن أحببت».

شهادة رقم ٩، تقرير كسر الصمت الخاص بعملية الرصاص المصبوب

إن حظر استهداف المدنيين بشكل مباشر يعتبر مكوناً أساسياً في القانون الدولي الإنساني العرفي،[٢٢] ويشكل انتهاك هذه القاعدة جريمة حرب وفقاً لما تنص عليه المادة ٨(٢)(ب)(١) من النظام السياسي للمحكمة الجنائية الدولية.

ويشكل القتل العمد – وهو القتل المتعمد الذي ينتج عن خطأ أو إهمال – مخالفة جسيمةً لاتفاقيات جنيف[٢٣].

إن القانون الإنساني الدولي يقضي بأنه «إذا ثار الشك حول ما إذا كان شخص ما مدنياً أم غير مدني فإن ذلك الشخص يعد مدنياً.»[٢٤]

٢٢ القاعدة 1، جون-ماري هنكرتس ولويز دوزوالد – بك، القانون الإنساني الدولي العرفي، المجلد الأول: القواعد، اللجنة الدولية للصليب الأحمر.

٢٣ يعتبر القتل العمد جريمة بموجب المادة ٨(٢)(أ)(١) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.

٢٤ المادة ٥٠(١) من البروتوكول الأول الملحق.

دراسة حالة رقم ١ : وفاء الرضيع

«أردت أن يغطيني أحد، فقد احترقت ملابسي واحترق جسدي. كنت شبه عارية».

وفاء الرضيع

وفاء الرضيع © المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان

في العاشر من يناير ٢٠٠٩، أطلقت طائرة استطلاع إسرائيلية صاروخين باتجاه وفاء الرضيع (٣٧ عاماً) وشقيقتها غادة (٣٠ عاماً). لم يكن أحد في الشارع سوى وفاء وشقيقتها غادة وقت شن الهجوم. أرادت وفاء، التي كانت حاملاً في شهرها التاسع أن تستغل ساعات الهدنة (وقف إطلاق النار المؤقت) التي أعلنتها قوات الاحتلال الإسرائيلي كي تذهب لمراجعة الطبيب الذي يتابع حالتها، حيث كانت تشعر بالقلق لاقتراب موعد ولادتها. تقطن الشقيقتان وفاء وغادة في بيت لاهيا، ولم تكن أي اشتباكات تدور في المنطقة وقت خروجهما، حيث كانت طائرات الاستطلاع فقط تحلق في سماء المنطقة.

أصيبت كل من وفاء وشقيقتها غادة بجراح خطيرة في الهجوم. فقدت وفاء ساقها اليمنى، التي بترت من أعلى الركبة، كما أصيبت بجراح متعددة في أنحاء جسدها، وخاصة في ساقها اليسرى التي لم تتعاف بعد. وبالرغم من أن وفاء خضعت لعملية زراعة ساق اصطناعية ، إلا أنها لا تزال غير قادرة على المشي بشكل طبيعي بسبب التلف الذي حل بساقها الأخرى. إنها تجد صعوبة في الجلوس بشكل معتدل كما تعاني الكثير من الصعوبات. أما غادة، فقد أصيبت بكسور بالغة في كلتا ساقيها بسبب الهجوم، وبينما كانت ترقد في المستشفى للعلاج، التهبت جروحها وكانت هناك مخاوف من الاضطرار إلى بتر ساقها.

اعتقد الأطباء بأن وفاء قد ماتت في أكثر من مرة بسبب حجم الجروح التي أصيبت بها. وتم تحويلها وشقيقتها غادة إلى مصر لتلقي العلاج، ومكثت كلتاهما هناك لمدة خمسة أشهر ونصف. عادت وفاء من رحلة علاجها في مصر بتاريخ ٢٩ يونيو ٢٠٠٩ وعادت شقيقتها غادة بتاريخ ٢٧ يونيو. كان من الضروري أن تخضع الشقيقتان للمتابعة المستمرة وللعلاج الطبيعي. كانت وفاء ترقد في غيبوبة عندما خضعت لعملية قيصرية لوضع طفلها إياد بتاريخ ١٠ يناير ٢٠٠٩.

بتاريخ ١٠ يوليو ٢٠٠٩، التقى طاقم المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان بكل من وفاء وشقيقيها أحمد المصري (٣٨ عاماً) ووليد المصري (٣٣ عاماً) في منزلهم الكائن في بيت لاهيا.

حدثتنا وفاء عن يوم الحادث قائلة: "كنا في يوم ١٠ يناير، كانت الأجواء هادئة في هذه المنطقة، ولكن كانت الحياة لا تزال صعبة للغاية. كنت خائفة جداً لأنني كنت حاملاً في شهري التاسع. طلبت من شقيقتي غادة أن تذهب معي في ساعات الهدنة لمراجعة الطبيب. شعرت بأنني كنت على وشك الولادة. توجهنا إلى عيادة الدكتور حمودة على شارع بيت لاهيا العام.... لم أصل إلى العيادة."

أجريت المقابلة مع:
وفاء الرضيع (٣٧ عاماً)
أحمد المصري
وليد المصري

تاريخ الحادث:
١٠ يناير ٢٠٠٩

المكان:
بيت لاهيا

الضحايا:
وفاء الرضيع (٣٧ عاماً): إصابة
غادة الرضيع: إصابة

انتهاكات القانون الدولي:
القتل العمد:
مخالفة جسيمة لاتفاقيات جنيف
الاستهداف المباشر للمدنيين:
المادة ٨ (٢) (ب) (١) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية

دينا ووفاء ووليد الرضيع © المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان

"في طريقنا، سمعت هدير طائرة استطلاع. كان الصوت عالٍ للغاية. طلبت غادة مني أن أركض، وقالت إن الطائرة سوف تقصفنا. سألتها كيف عرفت ذلك، فصرخت 'لدي إحساس بذلك، اركضي!'. كنت حاملاً في شهري التاسع ولم يكن أحد في الشارع سوى أنا وغادة وحدنا. شعرت بأننا سوف نهاجَم، لم يكن أحد في الشارع وكان صوت طائرة الاستطلاع مرتفعاً جداً. كنت أردد الشهادتين، وحاولت أن أركض قدر استطاعتي ولكن شقيقتي كانت قد سبقتني وكانت أمامي."

تمت مهاجمة الشقيقتين بصاروخين أطلقتهما طائرة الاستطلاع. "كنت خلف شقيقتي قبل الهجوم، ولكن الانفجار قذفني أمامها. لقد طرت مرتين. لم يكن لدي أدنى فكرة عما كان يحدث. كان الأمر يبدو كما لو أنني فقدت رأسي. رأيت ساقي اليسرى، وكانت في وضع سيء للغاية. لقد كانت كاللحم النيئ. لم أتمكن من رؤية ساقي اليمنى. احترقت كل ملابسي. كان الأمر كما لو أن ناراً كانت بداخلي. احترقت جميع ملابسي ورأيت السوء الذي حل بجسدي بسبب احتراقه. لم أتمكن من رؤية شقيقتي، ولم أدر ما حل بها. كل ما كنت أفكر به أن يأتي أحد ويغطيني، فقد احترقت ملابسي واحترق جسدي. كنت عارية تقريباً".

مرت سيارة بالقرب من المنطقة بعد الهجوم بنحو ١٥ دقيقةً، ونقل ركاب السيارة غادة إلى مستشفى كمال عدوان. أضاف أحمد، شقيق وفاء: «كانت كلتاهما تنزفان. ولكنهم اعتقدوا أن وفاء كانت ميتة، غطوها ببطانية وتركوها مكانها.» بعد الهجوم، اتصل الجيران بسيارة إسعاف وصلت في الحال إلى المكان. نقلت وفاء إلى مستشفى كمال عدوان بعد الهجوم بحوالي ٢٠ دقيقة. وعند وصولها، تم تحويلها فوراً إلى مستشفى الشفاء، وهو المستشفى الرئيسي في مدينة غزة. قال أحمد: «في مستشفى كمال عدوان، اعتقد الأطباء بأنها ميتة. كان الأطباء قلقين فقط بشأن الجنين الذي كان في أحشائها، ولم يقدموا أي علاج لوفاء على الإطلاق.»

قام الأطباء في مستشفى الشفاء بإجراء عملية قيصرية وتمت عملية ولادة إياد، ابن وفاء، بنجاح. أدرك الأطباء أن وفاء كانت على قيد الحياة فقط أثناء إجرائهم للعملية القيصرية، فبدءوا ببتر ساقها. بدأ شقيق وفاء، وهو طبيب في مستشفى الشفاء، بإجراء اتصالات مع الوفد المصري في المستشفى لتحويل وفاء إلى مصر. علّق أحمد قائلاً: «قالوا إن ذلك لن يأتي بأمل، فقد اعتقدوا بأن حالتها كان ميئوساً منها.»

نقلت وفاء أخيراً إلى مصر بتاريخ ١٢ يناير، بينما كانت لا تزال في غيبوبة. وليد، الذي رافق وفاء إلى مصر، قال: «كان الأمر في غاية الخطورة. كان علينا أن نمر قرب المواقع التي تمركز فيها الجنود الإسرائيليون كي نتمكن من الوصول إلى رفح. كانت هناك دبابات كثيرة. قبل أن نصل إلى معبر رفح، كانت أنفاس وفاء قد توقفت. قالوا إنها فارقت الحياة، وكانوا على وشك العودة إلى غزة. كان أعضاء الوفد المصري يسافرون معنا في نفس القافلة، وطلبنا منهم المساعدة. قاموا بعملية إنعاش لقلبها لمدة ٣٠ دقيقة. أخيراً بدأ قلب وفاء يخفق مرة أخرى وتنفست من جديد.»

«وصلنا إلى مستشفى الزيتون في القاهرة في حوالي الساعة الثامنة صباحاً بتاريخ ١٣ يناير. استغرقت رحلتنا ١٢ ساعة. عندما وصلنا حولت وفاء إلى وحدة العناية المركزة على الفور، ومكثت فيها حوالي أسبوعين قبل البدء في إجراء العمليات اللازمة لها. لقد خضعت لست أو سبع عمليات. كان جسدها مغطى بالضمادات عندما كانت في وحدة العناية المركزة. كنت أرى عينيها فقط. كانت الممرضات يحتجن إلى ست ساعات حتى يتمكنّ من تغيير الضمادات التي كانت تغطي جسدها.»

ظلت وفاء في غيبوبة لمدة ١٥ يوماً. وبحسب التقرير الطبي الذي اطلع عليه فريق المركز، فقد خضعت وفاء للعديد من العمليات. كما أجرى لها الأطباء عملية ترقيع للجلد، حيث نقلوا الجلد السليم من ذراعها اليسرى إلى ساقها اليسرى.

يقول وليد: "كان الهدف من العملية الأولى التي خضعت لها هو أن يتم إنقاذ ساقها اليسرى. فقدت الكثير من الدم في العملية وكان وضعها خطيراً للغاية. ظن الأطباء بأنها قد فارقت الحياة. أوقفوا إجراء العملية وأعادوها إلى وحدة العناية المركزة. وبعد أربعة أيام، استقرت حالة وفاء بعض الشيء، وحاول الأطباء أن يجروا العملية مرة أخرى. كنا محظوظين، فقد أصر أحد الأطباء، وهو الدكتور أحمد شحات، على بذل محاولات لإنقاذ ساقها (اليسرى). اعتقد الآخرون بأن ذلك لن يأت بجدوى، ولكنه قال إنه سيبذل كل ما في وسعه. تفاجأ جميع الأطباء من أن وفاء كانت على قيد الحياة، كان ذلك مدهشاً. كانت معالجة وفاء في غاية الصعوبة بالنسبة للفريق الطبي المصري، فقد كانت الحالة الأصعب في المستشفى لأنها أصيبت بجروح في كافة أنحاء جسدها."

عقبت وفاء قائلة: "لقد كنت محظوظة لأن الدكتور شحات تولى علاجي. لقد اعتنى بي وتبنى حالتي. لقد أنقذ ساقي..."

خضعت وفاء لعمليات الجراحية حتى نهاية شهر أبريل، أي لمدة حوالي ثلاثة أشهر ونصف بعد الهجوم. بعد ذلك، بدأت وفاء في عملية التأهيل، وخضعت لعملية تركيب ساق صناعية. قالت وفاء: "لقد استغرق الأمر شهراً كي أتعلم المشي بساقي الجديدة. علموني كيف استخدم ساقي، ولكنني لا أستطيع ثنيها عند الركبة. ساقي الأخرى وضعها سيئ للغاية، ولا أستطيع استخدامها بشكل جيد، فلا زالت إصابتها سيئة جداً. سأحتاج إلى المزيد من العلاج، فما زلت لا أقوى على المشي."

عندما تعافت وفاء قليلاً في مصر، علمت بأنها وضعت مولودها بنجاح، حيث أخبرنا وليد: «عندما تعافت وفاء قليلاً، أخبرتها بأنني تحدثت إلى زوجها. أخبرتها بأنه ينقل إليها سلامه وأن أطفالها أيضا ينقلون سلامهم إليها، وكذلك ابنها إياد.»

حينها استذكرت وفاء قائلة: «قلت: من هو إياد؟ ليس لدي ولد يدعى إياد. لم أصدق أنني وضعت طفلي، ظننت أنني قد فقدته. بعد مضي شهرين، بدأت أصدق ذلك رويداً فرويداً، فقد رأيت صورته في الهاتف المحمول.» رأت وفاء ابنها إياد للمرة الأولى قبل أن يزورها فريق المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان بيومين فقط. «في البداية، لم أعرف أنه ابني. أخبروني بأن ذلك الطفل كان إياد.»

بينما كانت وفاء تتلقى العلاج في مصر، تولت ابنتها الكبرى، دينا، تربية إياد. قالت وفاء: «الآن هي تعتني بي وبإياد. أشعر بألم في داخلي الآن. لا يمكنني الحديث عن ذلك الألم لأنه شديد جداً. ما زلت لا أستطيع الجلوس. أجد صعوبة كبيرة في الجلوس باستقامة. علي أن أبقي ساقي (اليسرى) مرفوعة».

لقد تم استهداف كل من وفاء وغادة بشكل مباشر من قبل طائرة استطلاع إسرائيلية. كانتا وحدهما فقط في الشارع وقت الهجوم. وبالنظر لقدرة طائرات الاستطلاع، فإن من المنطقي أن نفترض بأن مشغل طائرة الاستطلاع قد تمكن من تحديد أن الشقيقتين هما امرأتان مدنيتان. ويرى المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان بأن كلاً من وفاء وشقيقتها غادة قد استهدفتا بشكل مباشر، خلافاً للمعايير الأساسية الواردة في القانون الإنساني الدولي. بالتالي، يعتقد المركز بأن الهجوم يشكل جريمة قتل العمد وهو مخالفة جسيمة لاتفاقيات جنيف، كما أن هذا الهجوم يشكل جريمة حرب، حسب التعريف الوارد في المادة ٨(٢)(ب)(١) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.

دراسة حالة رقم ٢ : هالة الهباش

«ذات مرة، استيقظت من نومي كالمجنونة، كنت أفكر لم حدث ذلك؟ جاء الإسرائيليون لقتال حماس، ولكنهم قاتلونا نحن. لم فعلوا ذلك؟»

هالة الهباش

هالة الهباش © سارة مالیان/ المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان

بتاريخ ٤ يناير ٢٠٠٩، كان ستة أطفال من العائلة الممتدة التي تنتمي لها هالة الهباش يلعبون على سطح منزلهم. وفي حوالي الساعة الثالثة عصراً، أطلقت طائرة استطلاع إسرائيلية بدون طيار صاروخاً على الأطفال. أسفر الهجوم عن مقتل ابنة هالة، شذا (١٠ أعوام)، وابنة شقيق زوجها إسراء (١١ عاماً). كما جرح ثلاثة أطفال آخرين في الهجوم هم: ابنة هالة، جميلة (١٤ عاماً)، ونجلا شقيق زوجها محمود عمار (١٥ عاماً) ومحمد عمار (١٦ عاماً).

وبسبب الإصابات التي أسفر عنها الهجوم، فقدت جميلة ساقيها من أعلى الركبتين، بينما تم بتر أحد ساقي محمد عمرو من أعلى قصبة الساق. كان منزل عائلة الهباش هو المنزل الوحيد في المنطقة الذي تم استهدافه أثناء العدوان.

بتاريخ ٢٩ يونيو ٢٠٠٩، التقى فريق من المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان بهالة (٣٧ عاماً) وزوجها العبد الهباش (٤٨ عاماً) في منزل العائلة في منطقة الشعف بمدينة غزة. ويقطن في المنزل المكون من ثلاثة طوابق ثلاثة أشقاء من عائلة الهباش مع عائلاتهم.

تحدثت هالة قائلة: "كان يوم الرابع من يناير. كانت المنطقة هادئة جداً، لم نشعر بالخوف أبداً. لم يكن أي تواجد للمقاومة وشعرنا بالأمان، وسمحنا للأطفال باللعب خارجاً. كان الأطفال على السطح طيلة الوقت حيث توجد طيور ودجاج هناك. عندما وقع الهجوم، كان كل من محمد عمار وشذا وجميلة وإسراء يلعبون على السطح."

العبد، زوج هالة، تحدث إلينا قائلاً: "كانت زوجتي خائفة من السماح للأطفال بالذهاب للعب في الأعلى. ولكنني قلت لا بأس، فإسرائيل لديها الكثير من التكنولوجيا. إنهم يعرفون أهدافهم ويرون كل شيء. لا بد أن يصعد الأطفال إلى السطح ليروا الشمس لأن الكهرباء كانت مقطوعة ولا يوجد شيء يفعلونه في المنزل."

كانت هالة وزوجها في الطابق السفلي يتحدثان عندما قامت طائرة الاستطلاع باستهداف الأطفال، فقد قال العبد: "عندما سمعت القصف، صعدت فوراً إلى السطح. وكان أول ما رأيت جميلة وقد بترت ساقاها. بدا الأمر كما لو أنها سلخت، كانت مقطعة كاللحم. ساقها اليسرى، التي أعطيناها إلى سيارة الإسعاف فيما بعد، كانت على بعد حوالي ١٠٠ متر.... أما إسراء، فقد رأيت دماغها. ثم رأيت شذا، كانت مقطعة من فخذها حتى معدتها. كانت ساقها

أجريت المقابلة مع:
هالة الهباش (٣٧ عاماً)
محمد الهباش (٤٨ عاماً)

تاريخ الحادث:
٤ يناير ٢٠٠٩

المكان:
منطقة الشعف، مدينة غزة

الضحايا:
شذا الهباش (١٠ أعوام): قتل
جميلة الهباش (١٤ عاماً): إصابة

انتهاكات القانون الدولي:
القتل العمد:
مخالفة جسيمة لاتفاقيات جنيف
الاستهداف المباشر للمدنيين:
المادة ٨(٢)(ب)(١) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية

مقطوعة، وكانت قد فارقت الحياة. أنا مدرس وأعتني بصحة الأطفال إن حدث لهم أذى. قمت بالشيء نفسه مع جميلة. أخبرتها بألا تخاف وبأني سآخذها إلى المستشفى وأنني سأطلب سيارة إسعاف. لم يكن محمد عمرو على السطح، فقد قذف بعيداً على حافة نافذة الجيران. لم أصدق ذلك، اعتقدت بأن ساق محمد عمرو كانت مكسورة فقط، ولكنهم بتروا قدمه حتى منتصف قصبة الساق، ثم قاموا ببترها إلى مستوى أعلى."

أما هالة، فقد أخبرتنا قائلة: "كنت على السطح قبل الهجوم. أثناء العدوان، لم يكن لدينا كهرباء. غسلت جميع الملابس في اليوم السابق. في يوم الهجوم، كنت على السطح لأتفحص ما إذا كانت الملابس على ما يرام. كان الأطفال يتغنون بالأناشيد. كانوا جميعاً ضجرين، وكان لا بد لهم من وسيلة للتسلية".

واصلت هالة حديثها قائلة: "كنت قد أعددت طعام الغداء. ساعدتني جميلة في إعداد الطعام وفي الغسيل طوال اليوم. كانت الحياة صعبة جداً أثناء العدوان. لم يكن لدينا ماء ولا كهرباء ولا غاز. كنا نطبخ على البابور (موقد الكيروسين) كما كان الناس يفعلون قبل ٥٠ عاماً. ربما لو أنني دعوت الأطفال للغداء لما حدث هذا. أخبرت زوجي بأن الغداء كان جاهزاً، ولكنه قال إن الوقت ما زال مبكراً جداً."

واصلت هالة: "عندما سمعت الهجوم، صرخت على جميلة. نزلت زوجة شقيق زوجي وكانت تصرخ قائلة إن ساقي جميلة كانتا مقطوعتين. عندما أدركت بأن أطفالي قد أصيبوا، أصبح جسدي بارداً جداً. لم أقو على الكلام ولم أقو على البكاء. لا أعرف ما الذي حل بي. في العادة، إذا أصيب احد أطفالي بجرح بسيط، فإنني أجن، ولكن في هذه المرة، كان الأمر مختلفاً."

قام الرجال بوضع النساء والأطفال في حجرة حتى لا يروا ما كان يجري. قالت هالة: "ظننت بأن جميلة هي الوحيدة التي أصيبت. كانت زوجة شقيق زوجي تصرخ 'جميلة قطعت، جميلة قطعت' ولكن ماذا يعني ذلك؟ بعد أن مكثنا في الغرفة، نظرت زوجة شقيق زوجي من النافذة. وقالت إن الأمور على ما يرام وأن جميلة ما زالت تتحرك. ثم قال شقيق زوجي: 'أعانك الله، لقد فقدنا إسراء'. رأيت زوجي فقال إننا فقدنا شذا أيضا. لم أستطع فعل أي شيء، لا شيء. لم أقو حتى على البكاء. لِمَ لم أذهب إليهم؟ لِمَ لم أستطع أن أعطي ساقيَّ لابنتي؟ لِمَ لم أقو على البكاء حتى؟"

وصلت سيارة إسعاف إلى المكان على الفور. قالت هالة: «لقد حالفنا الحظ. كانت جميلة تنزف كثيراً. عندما وصلت إلى المستشفى، كان لونها أزرقاً داكناً.»

قرر أفراد عائلة الهباش أن يغادروا المنزل بعد الهجوم. لم يعرفوا إلى أين يذهبون، ومكثوا لليلة واحدة في منزل يعود لأحد أقربائهم في شارع الجلاء في مدينة غزة. وفي اليوم التالي ذهبوا إلى منزل شقيقة العبد في مخيم الشاطئ للاجئين، حيث مكثوا هناك لمدة ١٥ يوماً.

قبل أن يغادروا منزل قريبهم الذي يقع في شارع الجلاء، سأل العبد زوجته إن أرادت أن ترى شذا قبل دفنها. قالت هالة: «لقد رفضت. فقط أردت أن أتذكرها وهي حية. لم أرغب برؤيتها. لم أرها على الإطلاق. حتى أنني لم أستطع الذهاب لرؤية جميلة. قالوا لي إنني إن أردت أن أرى جميلة، فلا ينبغي أن أبكي. لم أقو على ذلك، إنها ابنتي. ظننت أنني لو رأيت جميلة فسوف أجن. إنها مقربة جداً إلي.»

قامت هالة بزيارة ابنتها بعد أن أجريت لها عملية بوقت قصير. «طوال الطريق إلى المستشفى، كان زوجي يقول إن علينا أن نكون أقوياء من أجل مصلحة جميلة، ولكنني دهشت لما رأيتها. كانت تضحك وتمازحنا. كانت قوية جداً.

«كانت الفوضى تعم المستشفى. كان هناك الكثير من المصابين، والكثير من القتلى، والكثير من المعاناة. كان الوضع مروعاً... وكانت رائحة الدم والمصابين تفوح في المكان. لم يكن هناك عدد كاف من الأطباء والممرضين. كان ذلك سوقاً وليس مستشفى. عندما ترى معاناة الآخرين، تهون عليك معاناتك. كان يوما الاثنين والثلاثاء (الخامس والسادس من يناير) يومين سيئين للغاية في غزة.»

أجرت قناة الجزيرة الإخبارية مقابلة مع جميلة في المستشفى، وقالت هالة: «بعد المقابلة، طلب الملك أن تذهب جميلة إلى المملكة العربية السعودية، وقام بدفع كافة التكاليف.»

مكثت جميلة مع محمد عمار لمدة سبعة أيام في مستشفى الشفاء. وفي يوم ١١ يناير، تم نقلهما معاً إلى المملكة العربية السعودية. تم تركيب أطراف صناعية لكليهما، وهما الآن يشارفان على الانتهاء من علاجهما. قام عم جميلة بمرافقتها إلى المملكة العربية السعودية. قالت هالة: «كنت بين نارين، لم أرغب بترك جميلة وحدها، ولكنني أيضا لم أرغب بترك أطفالي الآخرين في غزة. نتحدث كل يوم مع جميلة على الإنترنت، لدينا كاميرا إنترنت. نتحدث إليها طوال الوقت. إن لم نكن متواجدين على الإنترنت، فإنها تتصل بنا كي تبلغنا بأن نتصل بالإنترنت لأنها ترغب بالحديث إلينا.»

«عائلتي هي كل شيء في حياتي. ليس لدي أب وليس لدي أم ولا شقيقات. ماتت والدتي بعد أن وضعتني، ورباني

جميلة وشذا الهباش © سارة ماليان/ المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان

أعمامي وأولادهم. الحمد لله أن لي زوجاً طيباً وعائلة جميلة. لقد فقدت واحدة من أذكى بناتي، كما أصيبت جميلة بجراح بالغة للغاية. إن الأمر صعب للغاية. أتمنى لو أنني فقدت ساقيَّ ولم تفقد جميلة ساقيها. أحبها كثيراً. أريد أن أقضي حياتي في مساعدة أطفالي فقط. ولكنها إرادة الله. ما زلت أشعر بشذى إلى جانبي تداعبني. يمكنني أن أشعر أنها تمسد وجهي.“

”لم أر ابنتي منذ ستة أشهر. ربما تعود في يوم الخامس عشر من يوليو، ولكنني لا أريد أن أضع الأمل في ذلك. ربما في نهاية يوليو“.

”الآن لا يمكنني أن أشعر بالسعادة أو أحس بالمتعة في أي شيء. ابنتي هيلين (٢٠ عاماً) أعلنت خطوبتها ولكنني لا أستطيع أن أكون سعيدة. لقد أغلق قلبي. قالت لي ابنتي إن علي أن أكون سعيدة لأجلها ولأجلي أيضا، ولكنني لا أستطيع. لم يكن ما حل بنا هيناً.“

”استيقظت من نومي ذات مرة كالمجنونة، كنت أفكر لماذا حدث ذلك؟ جاء الإسرائيليون لقتال حماس، ولكنهم قاتلونا نحن. لم فعلوا ذلك؟ وددت لو أن الذي حل بنا يحل بهم. كنت مجنونة، مجنونة حقاً. حتى وإن كان لجميلة ساقان جديدتان، لن يكون بمقدورها أبداً أن تكون كما في السابق.“

”لا أذهب إلى السطح، لا يمكنني أن أذهب أبداً. إن الأمر محزن للغاية. من الصعب جداً على أي أم أن تفقد أطفالها. إني أفتقد شذى كثيراً. يمكنني أن أعتني بأطفالي لو كانوا معاقين، ولكن أن أفقدهم فهذا فوق الاحتمال. أحاول أن أعود لحياتي الطبيعية، ولكن أحياناً أعتقد أنني في حلم. هل حقاً أن شذا ماتت؟“

في تقرير لها، أوردت منظمة مراقبة حقوق الإنسان (هيومان رايتس ووتش) أن مشغل طائرة الاستطلاع الإسرائيلية التي استهدفت أطفال عائلة الهباش كان بإمكانه أن يحدد أن الأفراد الذين كانوا متواجدين على السطح هم أطفال. إن المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان يرى أنه تم استهداف أطفال عائلة الهباش بشكل مباشر. يشكل القتل العمد للمدنيين انتهاكاً جسيماً لاتفاقيات جنيف، كما يشكل جريمة حرب حسب التعريف الوارد في المادة ٨ (٢) (أ) (١) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية. ويشكل الاستهداف المباشر للأطفال خرقاً للقانون الدولي الإنساني العرفي، وهو يشكل جريمة حرب بموجب المادة ٨ (٢) (أ) (١) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.

دراسة حالة ٣: ماجدة وريا أبو حجاج

«كانت شقيقتي ماجدة ترفع راية بيضاء»

صلاح أبو حجاج

صلاح أبو حجاج © سارة ماليان/ المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان

بتاريخ ٤ يناير ٢٠٠٩، أطلقت قوات الاحتلال الإسرائيلي النار على ماجدة أبو حجاج (٣٥ عاماً) وريا أبو حجاج (٦٥ عاماً) وأردتهما قتيلتين. كانت المرأتان ضمن مجموعة من ٢٧ فرداً فارين من منطقة جحر الديك في أعقاب بدء الاجتياح البري. قتلت المرأتان دون إنذار ودون مبرر. كانت ماجدة وفرد آخر في المجموعة، هو أحمد الصفدي، يرفعان رايات بيضاء.

بتاريخ ٣ يناير ٢٠٠٩، عندما بدأ الاجتياح البري، كان ١٦ فرداً من عائلة حجاج يحتمون في غرفة في الطابق الأول في منزلهم في منطقة جحر الديك، شرقي قطاع غزة. وفي حوالي الساعة الحادية عشر مساءً، تحرك الرتل الأول من الدبابات الإسرائيلية إلى داخل المنطقة. وعند الساعة السابعة إلا ربع صباحاً بتاريخ ٤ يناير ٢٠٠٩، قصفت إحدى الدبابات الإسرائيلية المنزل. أدى الانفجار الذي أحدثته القذائف إلى إصابة منار أبو حجاج (١٣ عاماً) في الساعد، ومن ثم اشتعلت النيران في المنزل.

أجريت المقابلة مع:
صلاح عبد الكريم أبو حجاج (٣٠ عاماً)

تاريخ الحادث:
٤ يناير ٢٠٠٩

المكان:
جحر الديك

الضحايا:
ماجدة أبو حجاج (٣٥ عاماً): قتل
ريا أبو حجاج (٦٥ عاماً): قتل
منار أبو حجاج (١٣ عاماً): إصابة

انتهاكات القانون الدولي:
القتل العمد:
مخالفة جسيمة لاتفاقيات جنيف
الاستهداف المباشر للمدنيين:
المادة ٨(٢)(ب)(١) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية

بتاريخ ٢٥ مايو ٢٠٠٩، التقى فريق من المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان بصلاح عبد الكريم أبو حجاج (٣٠ عاماً)، وهو نجل ريا وشقيق ماجدة، حيث أفاد: "اشتعلت النيران فقررنا أن نغادر المنزل. سرنا بين الأشجار إلى منزل جيران لنا على بعد ٣٠٠ متر. كنا ٢٧ فرداً نختبئ في بيت الدرج في منزل عائلة الصفدي. كنا نحاول الاتصال بسيارة الإسعاف لنقل منار. اتصلنا بالصليب الأحمر، ولكننا لم نفلح في الحصول على التنسيق. وأبلغونا بأن عملية عسكرية كانت تجري في المكان وأنهم لم يتمكنوا من الوصول إلى المنطقة."

وبينما كان الأفراد المدنيون يختبئون في بيت الدرج في منزل عائلة الصفدي، سمعوا إعلاناً بثه الجيش الإسرائيلي على محطة إذاعية يأمر فيه الأشخاص الذين يقطنون بالقرب من الحدود المغادرة إلى المدن الرئيسية. قال صالح: "سمعت بأن الإسرائيليين قد دخلوا إلى منطقة جحر الديك وأنهم اعتقلوا جميع الرجال. لذلك قررنا

التوجه نحو الغرب. المنطقة هنا مفتوحة جداً. تحركنا بحيث نكون مرئيين بشكل واضح. أردنا أن نري الإسرائيليين بأننا مغادرون. أردنا أن يرى الجنود أننا مدنيون فيدعوننا نذهب. كانت ماجدة، شقيقتي، ترفع راية بيضاء، وكان أحمد الصفدي هو الآخر يرفع راية بيضاء ويحمل ابنه."

على بعد حوالي ١٥٠ متراً من تواجد الدبابات، قرر أفراد العائلتين التوقف وانتظار إشارة للسماح لهم بالاستمرار. "لقد رأينا دبابات، الكثير من الدبابات. كانت تلك بداية العدوان. كانت السماء مليئة بالطائرات المروحية وطائرات الاستطلاع. وفجأة بدأت الدبابات بإطلاق النار نحونا. كنا وحدنا، فقط نحن والجيران. لم يكن أحد غيرنا في المنطقة. عندما أطلقوا النار باتجاهنا، بدأنا فوراً بالعودة ركضاً إلى المنزل. كان الشباب والشابات والأطفال يركضون سريعاً، ولكن أمي وجارتنا التي كانت قد أجرت عملية جراحية في ساقها لم تتمكنا من التحرك بسرعة. أصيبت أمي، اخترقت الرصاصة ذراعها ومن ثم صدرها. وسقطت أمي على الأرض على بعد ١٥ متراً. كذلك أصيبت ماجدة وتوفيت على الفور. لقد رأيناهم، كان الجنود المتواجدين في الدبابة يطلقون النار باتجاهنا. لم يقولوا شيئاً. كل ما فعلوه هو أن بدءوا بإطلاق النار. لم يحذرونا، فقط أطلقوا النار باتجاهنا مباشرة. كانت الساعة حوالي الثانية عشر ظهراً، في وضح النار".

وبسبب قوة الهجوم، لم يتمكن الآخرون من الوصول إلى المصابين. "لم يتمكن أحد من الوصول إلى ماجدة. كنا ننادي عليها 'ماجدة انهضي، هيا يا ماجدة' ولكن إطلاق النار كان كثيفاً جداً. كان هناك إطلاق نار في كل مكان من حولنا، ولم نتمكن من الوصول إليها. أخبرتنا أمي بأنها أصيبت في ذراعها. حاولنا تفحصها ولكنها ماتت. كان علينا أن نعود إلى منزل الجيران، فقد كان الرصاص يأتي من كل الاتجاهات. لم نستطع فعل شيء. ماتت أختي ماجدة وأمي ريا. كان علينا أن نتركهما حيث كانتا، وكانت منار ما تزال معنا."

في طريق عودتهم إلى منزل عائلة الصفدي، حاولت العائلتان مرة أخرى الاتصال بالصليب الأحمر وسيارة الإسعاف. أخبروهم أن لا أحد يمكنه الوصول إلى المنطقة. «أخبرناهم بأن الوضع في المنزل كان خطيراً للغاية وأننا فقدنا فردين ولكننا نريد إنقاذ البقية. قلت للصليب الأحمر إنهم كانوا ينتظرون موتنا كي يأخذوننا جثث هامدة.»

بعد الاختباء في المنزل لمدة ٢٤ ساعة، قررت العائلتان محاولة المغادرة مرة أخرى. هذه المرة توجهوا شرقاً باتجاه قرية جحر الديك. عند وصولهم إلى جحر الديك، اتصلوا بسيارة إسعاف لنقل منار التي تمكنت في النهاية من الوصول إلى المستشفى. ذهب الأفراد الأربعة والعشرون الباقون إلى إحدى المدارس التابعة لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين في مخيم البريج للاجئين.

«بعد مغادرتنا المنزل، بذلنا كل ما في وسعنا طوال الوقت من أجل الوصول إلى الجثتين. عملنا مع منظمات حقوق إنسان ومع أعضاء كنيست عرب. لم نحصل على رد، لم نتمكن من فعل أي شيء. حاولنا كل يوم، وأخيراً وبعد ١١ يوماً، وافق الجنود الإسرائيليون على السماح لإحدى سيارات الإسعاف بالدخول إلى المنطقة. وجاءت سيارة الإسعاف من الشرق، وكنت أتحدث إلى طاقمها عبر هاتفي النقال كي أرشدهم. على بعد حوالي ٥٠٠ متر من الجثتين، قام الجنود الإسرائيليون بإيقاف سيارة الإسعاف وطلبوا من طاقمها المغادرة. وقالوا بأن التنسيق قد انتهى. طلب سائق الإسعاف مهلة لمدة نصف ساعة أخرى وأخبرهم بأن الجثتين تركتا هناك منذ ١١ يوماً، ولكنهم رفضوا.»

في حوالي الساعة الثامنة والنصف من مساء يوم الثامن عشر من يناير، بعد الإعلان الإسرائيلي عن وقف إطلاق النار من جانب واحد، عادت عائلة أبو حجاج إلى منزلها. «عدنا إلى المنزل كي نأخذ الجثتين. لم أتعرف على المنطقة بسبب التدمير والخراب اللذين حلا بها. كانت المنطقة هنا جميلة قبل العدوان. بعد عملية البحث، وجدنا أمي ووضعنا الرمل على جثتها. وأخيراً عثرنا على جثة ماجدة أيضا، كان الإسرائيليون قد غطوا جثتها بألواح الألومونيوم وأجروا أعمال تجريف فوقها. لقد سحقت الجرافة النصف الأسفل من جسدها. كانت جثتها مقسومة من المنتصف.»

وبعد العثور على جثة ماجدة بوقت قصير، تلقى صلاح مكالمة هاتفية من الصليب الأحمر: «أخبروني بأن علينا مغادرة المنطقة في غضون خمس دقائق. كان الإسرائيليون قد اتصلوا بالصليب الأحمر وأخبروهم بأن أشخاصاً كانوا يتواجدون في المنطقة وأنهم سيقومون بإطلاق النار علينا. قمنا بحمل الجثث بمساعدة طاقم سيارة الإسعاف. استغرقت الطريق إلى المستشفى أربع ساعات. وصلنا إلى هناك في الثانية عشرة والربع من فجر يوم ١٩ يناير».

بعد وقف إطلاق النار بيومين، عاد صلاح إلى المنزل: «كنت أنظر إلى الأماكن التي تم فيها إطلاق النار علينا من قبل الإسرائيليين. وجدت جزءاً من قدم ماجدة وأخذتها إلى المستشفى. ليس لدينا صور لماجدة أو لأمي ريا، فقط في هواتفنا المحمولة. لم يكن أي تواجد للمقاومة هنا. لا شيء. المنطقة مفتوحة جداً. لم يسبق أبداً أن تمت مهاجمتنا من قبل، حتى عندما كانت المستوطنة (الإسرائيلية القديمة) في الجوار. هذه منطقة زراعية هادئة، ولم يسبق أن كانت هنا أية مشاكل. كانت منطقة جميلة واختفت في لحظة.»

«أجد صعوبة في الحديث عن ماجدة. كانت طيبة جداً. كانت ترفض أن تأكل أو أن تعد شيئاً قبل أن آتي ونأكل معاً. أنا الأصغر بين أشقائي، ولكن لي أمين هما ماجدة وأمي.»

بعد مغادرة العائلة، احتلت قوات الاحتلال الإسرائيلي المنزل. وعندما عادت عائلة أبو حجاج إلى منزلها، وجدت رسومات على جميع جدران المنزل.

إن القتل العمد لكل من ماجدة وريا يشكل مخالفة جسيمة لاتفاقيات جنيف، وانتهاكاً للقانون الدولي العرفي. كما يشكل التوجيه العمد للهجمات ضد المدنيين جريمة حرب حسب التعريف الوارد في المادة ٨(٢)(أ)(١) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية. وتنتهك هذه الجرائم مبدأ التمييز، وهو أحد أهم المبادئ الأساسية في القانون الدولي الإنساني.

وفقاً لاتفاقيات جنيف، على الأطراف المشاركة في الصراع أن تقدم مساعدة خاصة للجرحى والمرضى، وأن تقوم بتسهيل عملية تزويد الرعاية لهم وإخلائهم. وبهذا فقد انتهكت إسرائيل المادة ١٦ من اتفاقية جنيف الرابعة التي تنص على أنه: « يكون الجرحى والمرضى ... موضع حماية واحترام خاصين. وبقدر ما تسمح به المقتضيات العسكرية، يسهل كل طرف من أطراف النزاع الإجراءات التي تتخذ للبحث عن القتلى أو الجرحى...»

كذلك شكلت الأفعال التي قامت بها إسرائيل انتهاكاً للقانون الإنساني العرفي الذي ينص على أن يتخذ كل طرف في النزاع كل التدابير الممكنة، ودون إبطاء، للبحث عن الموتى وجمعهم وإخلائهم دون أي تمييز مجحف،[٢٥] وأن تعامل جثث الموتى بطريقة تتسم بالاحترام.[٢٦]

٢٥ القاعدة ١١٢.

٢٦ القاعدة ١١٥.

دراسة حالة ٤ : غالية نمر

«كانت أجسادهم جميعاً ممزقة إلى أشلاء وكانت محترقة. كانوا يرتدون ملابس العيد. رأيت أدمغتهم وأشلاءهم. حاولت أن أحملهم، ولكن أجسادهم كانت حارة جداً. كانوا محترقين. لا يمكن أن تتخيلوا كيف كان الوضع».

غالية نمر

غالية نمر © المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان

في حوالي الساعة ١٠:٣٠ صباحاً بتاريخ ٤ يناير، سقط صاروخ أطلقته طائرة مروحية إسرائيلية على سطح منزل غالية نمر (٥٢ عاماً) في منطقة الزيتون، شرق مدينة غزة. قتل ثلاثة من أطفال غالية وقتل خطيب ابنتها في الهجوم، وكذلك جرح حسين (١٠ أعوام) وهو ابن شقيق غالية. في لحظة الهجوم، كان هناك ٢١ مدنياً، من بينهم أسرة شقيق غالية، يحتمون في المنزل.

يعاني زوج غالية من مرض منعه من العمل لمدة ستة أعوام، وكان إبراهيم (٢٠ عاماً) هو المعيل الوحيد للعائلة. ودون وجود مصدر دخل، تعيش غالية مع أسرتها في فقر شديد. ولأنهم من السكان اللاجئين، تحصل عائلة نمر على بعض المساعدات من وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين، ولكنها لا تكفي لسد احتياجاتهم الأساسية. تمكنت العائلة من إزالة غالبية الركام من منزلها، ولكن لا تزال هناك ثقوب في السطح وفي الجدران.

لقد روعت غالية وعائلتها من الأحداث التي جرت على مدار العدوان. أصبحت ابنتها شادية (٢١ عاماً)، التي فقدت خطيبها، تعاني من مشاكل نفسية حادة، وهي لا تتلقى أية مساعدة في الوقت الحاضر.

بتاريخ ٥ يوليو ٢٠٠٩، التقى فريق من المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان بغالية في منزلها بحي الزيتون، فأخبرتنا قائلة: "أثناء العدوان، كنت طيلة الوقت أقول لأولادي بألا يشعروا بالخوف. كنت أقول لهم إن علينا أن نكون أقوياء وإن الله معنا. كان إبراهيم يبيع العوامة على شارع صلاح الدين. في اليوم الذي سبق الهجوم قال لي 'لن أذهب إلى العمل غداً، أخاف أن أموت'، ولكنه مات في المنزل. كان قد ادخر مبلغ ١٠٠٠ شيكل وأراد أن يعطيني إياه."

«كانت الليلة التي بدأ فيها الاجتياح البري عصيبة للغاية. كنا جميعاً نعاني هنا، ولم يغمض لنا جفن. كان هناك قصف في كل مكان. أعددنا الشاي في الصباح، وأعددنا شطائر الخبز والزعتر. ظل عبد الكريم يشعر بالجوع،

أجريت المقابلة مع:
غالية نمر (٥٢ عاما)

تاريخ الحادث:
٤ يناير ٢٠٠٩

المكان:
الزيتون

الضحايا:
إبراهيم نمر (٢٠ عاماً): قتل
عبد الكريم نمر (١٤ عاماً): قتل
سهير نمر (١٠ أعوام): قتل
أيمن عفانة (٢٧ عاماً): قتل
شادية نمر (٢١ عاما): إصابة

انتهاكات القانون الدولي:
القتل العمد:
مخالفة جسيمة لاتفاقيات جنيف
الاستهداف المباشر للمدنيين:
المادة ٨ (٢) (ب) (١) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية
الاستهداف المباشر للأعيان المدنية:
المادة ٨ (٢) (ب) (٢) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية

وأراد المزيد من الشطائر ولكن لم يبق منها شيء. وفي حوالي الساعة العاشرة صباحاً، صعد الأطفال إلى السطح. لم تكن هناك دبابات أو إسرائيليون، ولم يكن هناك تواجد للمقاومة في الشارع، ولم تكن هناك صواريخ.»

في حوالي الساعة العاشرة والنصف صباحاً، سقط صاروخ أطلقته طائرة مروحية إسرائيلية على سطح منزل العائلة، واخترق السطح إلى غرفة المعيشة في المنزل في الطابق الثاني. في لحظة الهجوم، كان هناك ستة مدنيين على السطح هم: إبراهيم، وحسين، وأسماء، ومحمد، وعبد الكريم، وسهير. كانت شادية في طريقها إلى السطح، حيث كانت تقف عند نهاية السلم عندما سقط الصاروخ.

عبد الكريم نمر ©
المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان

قالت غالية وهي تشير إلى الثقب الذي أحدثه الصاروخ في سقف حجرة المعيشة: "سمعنا صوت صاروخ، لقد ضرب سطح غرفة المعيشة. كان الدخان في كل مكان، هرعنا إلى الطابق السفلي مع كبار السن. لم نفكر أبداً فيمن كانوا على السطح. ظننت بأنهم كانوا في مأمن، ولكن بعدها سمعنا الصراخ. كان أخي يصرخ بأن الجميع قد ماتوا. ما رأيناه على السطح كان مروعاً. كانت أجسادهم جميعها ممزقة إلى أشلاء وكانت محترقة. كانوا يرتدون ملابس العيد. رأيت أدمغتهم وأشلاءهم. حاولت أن أحملهم، ولكن أجسادهم كانت حارة جداً. كانوا محترقين. لا يمكن أن تتخيلوا كيف كان الحال. كان حسين، ابن أخي، قد قذف خارجاً بسبب الانفجار. اعتقدنا بأنه قد مات، ولكنه كان لا يزال على قيد الحياة. كان قد أصيب بجروح خطيرة. عمره فقط عشرة أعوام. يظهر أنه بخير الآن، ولكنه ما زال يعاني. إنه لا يزال مريضاً."

"لم نر كلاً من عبد الكريم وأيمن، كنا نصرخ عليهما. استدعينا سيارة إسعاف والتي استغرق وصولها حوالي نصف ساعة. قال سائقو الإسعاف إن الوضع كان خطيراً جداً، وأنهم سيقومون بنقل المصابين فقط. لقد تركوا القتلى."

«بقينا نبحث عن عبد الكريم وأيمن، وأخيراً وجدهما شادي معاً. كانا خلف حجرة الطيور على السطح. كان أيمن ملقى هناك، وإلى جانبه كانت ساقي عبد الكريم. وجدنا ساقيه فقط. لم نتمكن من إيجاد أي شيء آخر منه، فقط ساقيه وأشلاء صغيرة. لا بد وأن الصاروخ أصابه بشكل مباشر. بحثنا عن عبد الكريم لمدة طويلة، فوجدنا أشلاء صغيرة منه في منزل جيراننا.»

تم نقل كل من حسين ومحمد وأسماء بسيارة الإسعاف إلى المستشفى. وتمكنت العائلة من إيجاد سيارة في المنطقة لنقل القتلى إلى المستشفى. قالت غالية: «أحضرنا سهير وإبراهيم وأيمن ونصف عبد الكريم. لم أدر ماذا أفعل، أأذهب مع القتلى إلى المستشفى أم مع المصابين، أو أبقى للبحث عن عبد الكريم. كان شادي ووالده يبحثان عن باقي جسد عبد الكريم، لم أعرف حقاً ما أفعله. ذهبت في النهاية إلى شادية. كنت قلقة جداً عليها فقد كانت متعلقة جداً بأيمن. كانت خائفة طيلة العدوان أن يحدث له مكروه. لم تسمح له بالعودة إلى رفح خوفاً من أن يتعرض لهجوم في الطريق.»

هرعت غالية مع جيرانها إلى مستشفى الشفاء. تمكنوا من إيجاد سيارة على شارع صلاح الدين لتقلهم إلى هناك. «لم تعلم شادية بأن خطيبها قد مات. لم أقو على إخبارها بذلك. أخبرتها بأنه أصيب. كانت تسأل عنه في كل مرة، وكنت أقول لها إنه مصاب. أدركت بأنني فقدت أطفالي، كنت أعلم بأن علي البقاء إلى جانب شادية وأن أمنحها القوة. كان من الصعب جداً علي أن أخبرها بموت أيمن، فقد كانت تسأل عنه طوال الوقت. أخبرتها على مراحل. أخبرتها رويداً رويداً قدر استطاعتي، كانت تلك إرادة الله.»

لقد صدمت شادية للغاية بوقوع الهجوم، وكذلك بفقدان خطيبها. تقول غالية: «لا تزال حالتها حتى الآن سيئة جداً. كانت قد مضت أربعة أشهر على خطبتها لأيمن. كان من المفترض أن يتزوجا في شهر أبريل. كنت مع شادية طوال الوقت، ولم أتمكن حتى من الذهاب إلى الجنازة. لم تتح لي الفرصة لأن أودع أبنائي.»

كذلك كان على غالية أن تبلغ عائلة أيمن بموته: «بمجرد أن علمت بموت أيمن قمت بالاتصال بوالده. كان علي أن أبلغه بأن ابنه قد مات وأنه قد شن علينا هجوم. أصيبت أمه بالصدمة، ولا تزال تعاني منها.»
بقيت شادية في المستشفى لمدة يومين. ولكن عند خروجها من المستشفى، لم تتمكن العائلة من العودة إلى منزلها.

أسماء عفانة وسهير نمر © المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان

كانت منطقة الزيتون في غاية الخطورة، وكان المنزل قد أصيب بأضرار جسيمة جداً وأصبح غير صالح للسكن. انتقلت العائلة إلى منزل شقيق زوج غالية في منطقة الشيخ رضوان في مدينة غزة. قالت غالية: "كان الجو بارداً جداً. لم يكن بحوزتنا ملابس ولا أغطية ولا نقود. غادرنا دون أن نأخذ شيئاً. حتى أنني كنت بلا حذاء. كان علينا أن نرتدي ملابسنا طوال الوقت، كنا خائفين طوال الوقت من أن يحدث لنا شيء. خلال فترة العدوان، عندما أتينا سريعاً إلى هنا لأخذ بعض الملابس، لم نجد شيئاً. كانت الملابس جميعها قد أحرقت، وكان المنزل قد أصيب بأضرار جسيمة جداً وكان مليئاً بالركام."

بتاريخ ١٨ يناير ٢٠٠٩، عادت عائلة نمر إلى منزلها الذي تم قصفه في عدد من المرات أثناء تواجدهم بعيداً عنه. في إحدى المرات التي قصف فيها المنزل، تم استخدام الفسفور الأبيض. كان على العائلة أن تعيش في الطابق الأرضي طوال فصل الشتاء، بينما تم العمل على تنظيف الطابق الثاني من المنزل. بعد موت إبراهيم، الذي كان مصدر الدخل الوحيد للعائلة، أصبح الوضع المالي للعائلة قاس للغاية. أخبرتنا غالية: "ليس لدي عمل. إذا طلب أحد مني أن أعد المفتول، فسوف أقوم بذلك. ولكن هذا ليس عملاً ثابتاً. نتلقى بعض النقود من المؤسسات التي تدعم أسر الشهداء. ولأننا لاجئون، فإننا نتلقى بعض المساعدة من وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين، ولكن ذلك لا يكفي. سوف يساعدنا الله ولن ينسانا."

"دائماً أتذكر أبنائي وابنتي وأحلامهم. لا يمكن للإسرائيليين أن يعرفوا معنى هذه المعاناة. عليهم أن يعلموا كم أعاني، وكم يعاني أطفالي"

إن الاستهداف المباشر للمدنيين وقتلهم يرقى إلى جريمة القتل العمد التي تشكل مخالفة جسيمة لاتفاقيات جنيف، كما يشكل جريمة حرب وفقاً للمادة ٨(٢)(ب)(١) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية. كذلك يشكل الاستهداف المباشر للأعيان المدنية جريمة حرب وفقاً للمادة ٨(٢)(ب)(٢) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.

في الوقت الذي شن فيه الهجوم، لم يكن أي تواجد لنشاطات المقاومة في المنطقة. قام فريق المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان بتفحص سطح منزل عائلة نمر. كان السطح مرئياً بشكل كامل ويقع في منطقة مفتوحة. لا بد وأن الطيار الذي كان يقود الطائرة المروحية قد رأى السطح بشكل واضح، ورأى المدنيين المتواجدين عليه.

الاستهداف المباشر للأعيان المدنية وتدميرها

«المنازل – إذا اشتبه نائب قائد الكتيبة بأحد المنازل، فسوف نفجره. إذا لم يحب جنود المشاة الوجوه في ذلك المنزل، فسوف نطلق النار. على كل شيء».
شهادة رقم ٨، تقرير كسر الصمت الخاص بعملية الرصاص المصبوب

«طوال الوقت، كان يتم تدمير المنازل في كل مكان.»
شهادة رقم ٩، تقرير كسر الصمت الخاص بعملية الرصاص المصبوب

إن الحظر المفروض على الاستهداف المباشر للأعيان المدنية يشكل عنصراً أساسياً في القانون الدولي الإنساني.[٢٧] وتشكل انتهاكات هذا الحظر جرائم حرب بموجب المادة ٨(٢)(ب)(٢) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.

يشكل التدمير الواسع النطاق للممتلكات على نحو لا تبرره الضرورة العسكرية مخالفة جسيمة لاتفاقيات جنيف.[٢٨] في هذا الشأن، نذكر بأهمية المعطيات التي توصلت إليها المحكمة الجنائية الدولية ليوغسلافيا السابقة عند إجراء محاكمة لبلاسكيتش، حيث جاء في قرار المحكمة أنه «يتم تقييم مفهوم 'واسع النطاق' وفقاً للحقائق المتعلقة بالقضية – إن عملاً واحد، مثل تدمير مستشفى، قد يكون كافياً لتشخيص جريمة بموجب ذلك.»[٢٩]

ينص القانون الدولي الإنساني على أنه « إذا ثار الشك حول ما إذا كانت عين ما تكرس عادةً لأغراض مدنية مثل مكان العبادة أو منزل أو أي مسكن آخر أو مدرسة، إنما تستخدم في تقديم مساهمة فعالة للعمل العسكري، فإنه يفترض أنها لا تستخدم كذلك.»[٣٠]

٢٧ القاعدة ٧، جون-ماري هنكرتس ولويز دوزوالد - بك، القانون الدولي الإنساني العرفي، المجلد الأول: القواعد، اللجنة الدولية للصليب الأحمر.

٢٨ يعتبر التدمير الواسع النطاق للممتلكات جريمة بموجب المادة ٨(٢)(أ)(٤) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.

٢٩ المحكمة الجنائية الدولية ليوغسلافيا، قضية بلاسكيتش، الحكم، القسم ٢٣٩.

٣٠ المادة ٥٢(٣) من البروتوكول الإضافي الأول الملحق باتفاقيات جنيف.

دراسة حالة رقم ٥ : هالة حرز اللّه

«لا أريد أن أشعر بالألم طوال الوقت. أحاول أن أخرج لأعيش، ولكنني فقدت طعم الحياة. لا يمكنني أن أعيش بشكل طبيعي. الأمر ليس كما كان عليه في السابق، لا يمكنني أن أنسى أطفالي. لا يمكنني أن أنسى ما حل بنا.»
هالة حرز الله

أحمد وحسن إسليم © المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان

بتاريخ ١٥ يناير ٢٠٠٩، كانت هالة حرز الله (٤٠ عاماً) وعائلتها يحتمون في منزل شقيق زوجها، علاء إسليم، في حي اليرموك بمدينة غزة. وصلت هالة وعائلتها إلى المنزل في الساعات الأولى من بعد الظهر، بعد أن فروا من منزلهم في حي تل الهوى.

في حوالي الساعة الرابعة وعشر دقائق عصراً، استهدف سلاح الجو الإسرائيلي منزل إياد صيام المجاور لمنزل علاء إسليم. يعتقد المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان بأن الغاية من هذا الهجوم كانت تنفيذ عملية إعدام خارج نطاق القضاء تستهدف سعيد صيام، وهو شقيق إياد صيام ووزير الداخلية في حكومة غزة وعضو في المجلس التشريعي الفلسطيني. أسفر الهجوم عن تدمير منزل إياد صيام بشكل كامل، وإلحاق أضرار جسيمة بثمانية منازل مجاورة، من بينها المنزل الذي كانت هالة وعائلتها يحتمون فيه.

وأدى الهجوم إلى مقتل عشرة مدنيين وإصابة ١٤ آخرين. وكان من بين القتلى ابنا هالة، حسام (٧ أعوام) وأحمد (١٤ عاماً). كما أصيبت هالة وزوجها محمد (٤٨ عاماً) وابنتهما مرام (١٧ عاماً) في الهجوم.

بقي محمد في غيبوبة لمدة شهر ونصف، وكان يعاني من نزيف في المخ. وقد فقد ذاكرته بسبب الهجوم، ويحتاج إلى علاج إضافي في مركز، ولكنه يتعافى ببطء الآن. وظلت مرام مضمدة بالجبس لمدة أربعة شهور بسبب إصابتها، أما هالة فقد خضعت لعلاج طبيعي لمدة شهر ونصف. لم تتمكن هالة وعائلتها من العودة إلى منزلهم في تل الهوى لأنه يشق عليها كثيراً التفكير في ذكريات حياتها السابقة.

بتاريخ ١٢ يوليو ٢٠٠٩، التقى فريق من المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان بهالة ووالدتها، أم حيدر (٧٣ عاماً)، في منزل والدتها الكائن في مدينة غزة. تذكرت هالة اليوم الذي حدث فيه الهجوم قائلة: "كنت أقطن في تل الهوى. كنا جميعاً نعيش معاً. خلال العدوان، مكثنا جميعاً في حجرة واحدة، من أجل سلامتنا. كان الوضع خطيراً جداً في تل الهوى، حيث كانت تدور هناك اشتباكات كثيرة. كان علاء، شقيق زوجي، يتصل بنا من منطقة اليرموك. قال لنا إنه يتعين علينا الذهاب إلى منزله لأن منطقتهم كانت آمنة جداً وهادئة. وبتاريخ ١٥ يناير، قررنا أن نغادر عند الساعة الحادية عشرة صباحاً."

أجريت المقابلة مع:
هالة حرز الله (٤٠ عاماً)
أم حيدر (٧٣ عاماً)

تاريخ الحادث:
١٥ يناير ٢٠٠٩

المكان:
حي الزيتون، مدينة غزة

الضحايا:
حسام إسليم (٧ أعوام): قتل
أحمد إسليم (١٤ عاماً): قتل
هالة حرز الله (٤٠ عاماً): إصابة
محمد إسليم (٤٨ عاماً): إصابة
مرام إسليم (١٧ عاماً): إصابة

انتهاكات القانون الدولي:
القتل العمد:
مخالفة جسيمة لاتفاقيات جنيف
الاستهداف المباشر للمدنيين:
المادة ٨(٢)(ب)(١) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية
الاستهداف المباشر للأعيان المدنية:
المادة ٨(٢)(ب)(٢) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية

"كان علينا أن نركض طول الطريق لأن الوضع كان خطيراً جداً. ركضت أنا وزوجي وأطفالي الأربعة. رأينا الفسفور وجميع الأشخاص القتلى في الشارع. قررنا أن يركض كل اثنين معاً لأننا ظننا أن ذلك سيكون أكثر أماناً. عندما غادرنا، لم نأخذ شيئاً معنا، لا طعام ولا ملابس. كنا في حراك طيلة الوقت، لم نكن متأكدين من أننا سنتمكن من مغادرة المنطقة."

"في الطريق، رأى حسام جثة طفل قتل نتيجة القصف، وكانت الجثة محترقة بالكامل. لم يستطع حسام أن يكف عن البكاء. سألته ما الخطب، فقال 'أتمنى ألا يحل ذلك بي.' ركضنا طوال الوقت، وكان هناك الكثير من الناس يركضون مثلنا".

في النهاية، عثر أفراد العائلة على سيارة تقلهم إلى منزل علاء، حيث وصلوا إلى هناك في حوالي الساعة الثانية من بعد الظهر. «كانت الأوضاع هادئة جداً في منزل شقيق زوجي. هادئة جداً جداً. كان ذلك عالماً مختلفاً.»

قضت هالة وعائلتها بعض الوقت يطلعون أقرباءهم على أخبارهم قبل أن يأخذوا قسطاً من الراحة. «كنا متعبين من الركض، ولم نخلد إلى النوم منذ وقت طويل. كانت ليلة الرابع عشر من يناير صعبة للغاية. قررت أنا وزوجي وابنتي مرام أن نذهب إلى النوم قليلاً. لم يكن الأطفال قد خرجوا منذ ٢٠ يوماً. كانوا محبوسين في تل الهوى. أرادوا أن يذهبوا إلى الخارج. أراد حسام أن يخرج وأن يلعب البنانير (البِلي). وأراد أحمد أن يقود السيارة لبعض الوقت، فقط بين بداية الشارع ونهايته. أخبرتهما أن يذهبا.»

كانت هالة قد ذهبت لتوها إلى الفراش عندما استهدف سلاح الجو الإسرائيلي منزل إياد صيام. «لم أسمع أي ضجة. كل ما رأيته هو أن الجدران والحجارة كانت فوقنا. كنت مستيقظة، ولكنني كنت مغطاة بالردم. شعرت كما لو أنني في قبر. لم أدر إن كنت ميتة أم على قيد الحياة. بقيت فقط أفكر 'أين أنا؟' لم تتحطم الجدران بشكل كامل، فقد تغطيت بجزء منها. لقد أنقذتني الطريقة التي تحطمت بها الجدران. الحمد لله. لم تكن مرام ووالدها يعيان شيئاً، فقد غابا عن الوعي."

بسبب قوة الانفجار، قذفت هالة وزوجها محمد وابنتهما مرام كل منهم في حجرة مختلفة. قتل أحمد وحسام على الفور، وكان تأثير القنبلة قد مزق جسديهما إلى أشلاء.

تمكنت سيارات الإسعاف من الوصول إلى المكان في غضون دقائق لنقل القتلى والجرحى إلى المستشفى. مكثت هالة في المستشفى لمدة عشرة أيام: «كنت أرى الرمل في عيني لفترة طويلة جداً. لقد أصيب وسطي بجراح خطيرة. وكسرت ساق ابنتي مرام وأصيبت في ضلوعها وفي رأسها، ورقدت في ضمادات من الجبس لمدة أربعة شهور. أما زوجي فأصيب بجراح خطيرة حيث أصيب بشظايا في معدته. أجروا له عمليات لمدة أربع ساعات، وبعد ثلاثة أيام، تم نقله إلى مستشفى البنك الأهلي في مصر. كان الأمر صعباً للغاية عندما أخبروني بأنه سيتم نقل محمد إلى مصر. اعتقدت أنني سأفقده أيضا. طلبت من أخي في الإمارات العربية المتحدة أن يذهب ويراه. كنت بحاجة إلى أن أعرف كيف كانت حالته. بقي في مصر من ١٨ يناير حتى ٢٤ فبراير. وعندما أفاق من غيبوبته، كان فاقداً الذاكرة فقد بقي في غيبوبته لمدة شهر ونصف. وبمجرد أن استيقظ، أرسلوه إلى غزة، ولكنه لا يزال بحاجة إلى المزيد من العلاج.»

في مستشفى الشفاء، اكتشفت هالة أن ابنيها قد قتلا: «كان صعباً علي أن أعرف أن كلا ولدي قد قتلا. لم يرد أحد أن يخبرني بموتهما. في البداية، قالوا إن وضع حسام كان حرجاً للغاية، ثم قالوا لي بأنه قد مات. قلت الحمد لله أنه ما زال لدي أحمد، ولكن بعد ذلك أخبروني بأن أحمد قد مات أيضا. كانا قريبين جداً على منزل سعيد صيام، لأن السيارة كانت متوقفة هناك. اكتشفت بعدها بأن أحمد قد فقد رأسه وذراعيه. كانت الضربة في عنقه فقطع رأسه. لم أره لمرة أخيرة لأودعه.»

أصيبت هالة بصدمة قاسية بسبب الهجوم وبسبب موت ولديها، ولم تعد قادرة على العيش في منزلها القديم دون ولديها: «لا يمكنني البقاء في تل الهوى. حاولت أن أبقى هناك، ولكنني لم أستطع. قررنا أن نقيم هنا في منزل عائلتي بدلاً من البقاء هناك. قبل بدء العدوان، كنا عائلة مثالية. لقد كانت عائلة جميلة. كان لدي ولدان وابنتان وزوجي. الآن تغير كل شيء. لا أريد أن أشعر بالألم طوال الوقت. أحاول أن أخرج لأعيش، ولكنني فقدت طعم

الحياة. لا يمكنني أن أعيش بشكل طبيعي. الأمر ليس كما كان عليه في السابق، لا يمكنني أن أنسى أطفالي. لا يمكنني أن أنسى ما حل بنا.»

كانت هالة هي من أخبرت مرام: «رفضت أن أخبر مرام بأنها فقدت شقيقيها، فقد كنت أعلم إلى أي مدى كانت تحبهما. أخبرتها تدريجياً. ستتقدم مرام إلى امتحانات التوجيهي هذا العام. لم تتمكن من الذهاب إلى المدرسة خلال ما تبقى من العام الدراسي بسبب إصابتها.»

قبل العدوان، كانت هالة تعمل في قسم الإدارة في جامعة الأقصى: «لا يمكنني العودة إلى العمل الآن. كنت أعمل في الشئون الإدارية، ربما أحاول العودة إلى العمل مع بداية العام القادم. لقد تحسن وضعي ولكن علي أن أعتني بمرام وبزوجي، فهما بحاجة إلى المساعدة. بعثت برسالة إلى رئيس الجامعة وطلبت منه البقاء في المنزل. زوجي في حال أفضل الآن، ولكن وضعه كان في السابق صعباً للغاية. إنه بحاجة إلى الكثير من الرعاية. إذا احتاج للذهاب لأي مكان، فلا بد أن يذهب معه أحد.»

«كان ولداي نصف العالم بالنسبة لي. كان حسام لطيفاً جداً، كان يمزح طوال الوقت. كان مجتهداً جداً في المدرسة. كان أحمد مجتهداً أيضاً، واعتاد أن يرتب كل شيء في المنزل. لقد رحلا الآن.»

يعتقد المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان بأن الإسرائيليين قد سعوا إلى تنفيذ عملية إعدام خارج نطاق القضاء تستهدف سعيد صيام، الذي كان يحتمي في منزل شقيقه. وبالرغم من كونه عضواً في حكومة حماس، فقد كان صيام شخصية سياسيةً ولم يكن عضواً في مجموعة مسلحة. لقد كان صيام مدنياً يحق له التمتع بالحماية التي يوفرها القانون الدولي الإنساني للمدنيين.

ويرى المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان بأن مقتل مدنيين نتيجة هذا الهجوم يشكل جريمة قتل عمد، وهي مخالفة جسيمة لاتفاقيات جنيف. لقد استهدف الهجوم مدنيين وأعياناً مدنية بشكل مباشر، وهذا ما يشكل جريمة حرب وفقاً للمادة ٨(٢)(ب)(١) و(٢) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.

دراسة حالة رقم ٦ : انتصار حمودة

«اعتقدت بأنني لن أكون أماً أبداً. لقد حاولت ما بوسعي لإنجاب طفل على مدار ٢١ عاماً... عندما أنجبت فارس كنت في غاية السعادة... كان فارس يقرقر فقط... كان يحاول جاهداً التقاط أنفاسه، ولكن الدماء كانت تسيل من فمه.»

انتصار حمودة

انتصار حمادة © سارة ماليان/ المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان

في الصباح الباكر بتاريخ ١١ يناير ٢٠٠٩، شن هجوم على انتصار حمودة (٣٩ عاماً) وأسرتها في منزلهم الكائن في تل الهوى. كان المنزل تحت مرمى نيران الدبابات الإسرائيلية في ثلاث مرات منفصلة. قتل في الهجوم فارس (عامين ونصف) وهو ابن انتصار، بينما ظل محمد (١٦ عاماً)، وهو ابن زوجها، ينزف حتى مات بينما كانت العائلة تنتظر وصول سيارة الإسعاف. أصيبت انتصار بجراح خطيرة، وأصيب إيهاب (٢٤ عاماً)، وهو ابن زوجها، بجراح في ظهره.

كانت انتصار تحاول إنجاب طفل على مدار ٢١ عاماً. كان فارس هو أول طفل لها. كانت تحمله عندما اخترقت إحدى القذائف جدار منزلهم. قتل فارس على الفور جراء إصابته. طلعت (٥٢ عاماً) هو زوج انتصار الثاني. كان زواجها الأول قد انتهى لأنها لم تنجب أطفالاً. بعد زواجها من طلعت، قامت انتصار بتربية أبناء طلعت كما لو كانوا أبناءها.

بتاريخ ٢٨ يونيو ٢٠٠٩، التقى فريق من المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان بانتصار وزوجها طلعت في الشقة التي يستأجرونها الآن في مدينة غزة. بدأت انتصار بحديثها عن فارس قائلة: "اعتقدت بأنني لن أكون أماً أبداً. لقد حاولت ما بوسعي لإنجاب طفل على مدار ٢١ عاماً. أدركت بأن هذه هي فرصتي الوحيدة. عندما أنجبت فارس كنت في غاية السعادة. عندها لم أرغب بإنجاب المزيد من الأطفال. كان لدي ابني وأطفال زوجي الثلاثة. كان الأطفال الآخرون سعداء أيضا، كانوا جميعاً ينادونني بأمي. كانت هناك علاقة وطيدة تربط محمد بفارس."

"خرج محمد قبل الهجوم بيوم لشراء شريحة للجوال. لم يكن قد خرج من المنزل منذ عشرة أيام، وأراد حقاً أن يخرج. عندما عاد،

أجريت المقابلة مع:
انتصار حمودة (٣٩ عاماً)
طلعت حمودة (٥٢ عاماً)

تاريخ الحادث:
١١ يناير ٢٠٠٩

المكان:
تل الهوى، مدينة غزة

الضحايا:
فارس حمودة (عامين ونصف): قتل
محمد حمودة (١٦ عاماً): قتل
إيهاب حمودة (٢٤ عاماً): إصابة
انتصار حمودة (٣٩ عاماً): إصابة

انتهاكات القانون الدولي:
القتل العمد:
مخالفة جسيمة لاتفاقيات جنيف
الاستهداف المباشر للأعيان المدنية:
المادة ٨(٢)(ب)(٢) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية

كان في غاية السعادة. جلس مع فارس على عتبة الباب يتحدثان إلى جميع الجيران. قلت لزوجي أنه إن مات محمد، فسوف يموت معه فارس. كانا قريبين جداً من بعضهما البعض."

يقع منزل عائلة حمودة في حي تل الهوى بمدينة غزة في منطقة مفتوحة تحيط بها كروم العنب، ومن الصعب أن يكون تواجد لنشاطات المقاومة في تلك المنطقة لعدم وجود غطاء وبسبب كون المنطقة مرئية بشكل كبير.

خلال فترة العدوان، كانت عائلة حمودة مترددة في مغادرة منزلها، حيث قالت انتصار: "كان منزلنا جديداً، فقد عشنا هناك منذ خمس سنوات فقط." ولكن بتاريخ ١٠ يناير، استهدف قصف جوي قطعة أرض تقع بجوار منزل العائلة، وقررت العائلة بأن عليها الرحيل. اتصل طلعت بأصدقائه بحثاً عن مكان يمكثون فيه خارج مدينة غزة. وفي الليلة التي سبقت وقوع الهجوم، قام طلعت بإبلاغ انتصار أنه وجد منزلاً وأنهم سيغادرون في الصباح.

في ليلة الهجوم، كانت انتصار تنام مع زوجها طلعت وابنها فارس. وكان الأطفال الثلاثة الآخرون معاً في حجرة أخرى: "بعد منتصف الليل (فجر يوم الحادي عشر من يناير)، شعرنا بأن المنطقة أصبحت خطيرة. كنت أسمع جيبات الهامر والدبابات في الخارج. كانت هناك قنابل ضوئية حولت الليل إلى نهار. عندما نظرنا إلى الخارج من النافذة، اعتقدنا بأن منزل جيراننا كان يحترق. كانت حجرتنا خطيرة جداً بسبب النوافذ، لذا انتقلنا إلى الغرفة التي كان الأطفال ينامون فيها."

"أصبح الوضع أكثر خطورة شيئاً فشيئاً. اعتقدت بأن الجدران ستنهار. كنا نسمع الدبابات والجرافات لأنها كانت قريبة جداً. دمرت الدبابات منزل جيراننا، وكان هناك إطلاق نار من الدبابات أصاب المنزل المجاور لنا. أصيب إيهاب في ظهره بشظية اخترقت النافذة."

بعد الهجوم على منزل الجيران، تحركت العائلة إلى الممر لاعتقادهم بأنه أكثر أماناً. وفي حوالي الساعة الثانية صباحاً، أصيب منزل عائلة حمودة بقذائف أطلقتها الدبابات الإسرائيلية: "كنت أحمل فارس، كان المنزل في ظلام حالك وكان فارس يبكي. لم أكن أعلم ماذا كان يجري. سقطنا جميعنا على الأرض. أحضر محمد مصباح يد من حجرته ليضيء لفارس. كان يقول لفارس: 'لا تبكي، ها هو الضوء'. وبعدها مباشرة، قصف المنزل مرة أخرى".

«أصاب الهجوم الثاني خزان المياه على السطح، وسمعنا صوت المياه تنهمر. اعتقد محمد بأنها تمطر. كان فرحاً. واعتقد أن الإسرائيليين سيرحلون بسبب الجو.»

قال طلعت: «كان الهجوم الثالث هو الأخير. كانت زوجتي تحمل فارس، أصابت الشظية فارس بالقرب من معدته. لقد نجت زوجتي لأن الشظية أصابت فارس.»

قالت انتصار: «أصبت في ساقي الاثنتين، وفي ذراعي وفي رأسي. كان فارس يقرقر فقط. أعطيت فارس لطلعت، كان يحاول جاهداً التقاط أنفاسه، ولكن الدماء كانت تسيل من فمه.»

واصل طلعت قائلاً: «كنت أعلم بأنه يموت. أخذت فارس ومحمد إلى داخل المطبخ. كانت ذراع محمد قد بترت من نقطة قريبة من كتفه، وأصيب بجراح خطيرة في خاصرته. كان ينزف كثيراً. حاولت أن اتصل بالإسعاف حيث كان محمد لا يزال على قيد الحياة. اتصلت باللجنة الدولية للصليب الأحمر وبمحطات الإذاعة. أخبرني موظفو اللجنة الدولية للصليب الأحمر بأنهم لا يستطيعون القدوم لأن المنطقة كانت عسكرية. تحدثت إليهم وأخبرتهم بأن هذا دورهم وأن هذا ما كان عليهم فعله في غزة. كان ولداي ينزفان، وكانا بحاجة إلى سيارة إسعاف.»

أخذ إيهاب إحدى الستائر ليربطها حول وسطه محاولاً إيقاف النزيف. وقام طلعت بفعل الشيء ذاته مع محمد ولكن جراحه كانت خطيرة جداً. قال طلعت: "كان يغيب عن الوعي ويفيق ثانية. استيقظ قبل أن يموت مباشرة. ناداني وطلب ماء ولكنه لم يستطع أن يشرب. طلب مني أن أغسل وجهه، وحاولت مساعدته ليشرب. رفضت أن أصدق بأنني فقدت اثنين من أطفالي. كنت أعلم بأن فارس قد مات... عندما رأيت محمد هكذا، لم أستطع تصديق أنه سيموت. لقد نزف لمدة ثلاث ساعات حتى فارق الحياة".

فارق محمد الحياة بسبب إصابته عند حوالي الساعة الخامسة صباحاً من يوم الحادي عشر من يناير. وفي حوالي

فارس ومحمد حمودة

الساعة السابعة والنصف صباحاً، تمكن إيهاب من الذهاب مشياً والوصول إلى مستشفى القدس وأرسل سيارة إسعاف للمنزل.

قال طلعت: "أرسلت انتصار في سيارة الإسعاف الأولى. كانت جراحها خطيرة، وكان الآخران ميتين".

تابعت انتصار حديثها قائلة: "عندما ذهبت إلى سيارة الإسعاف، سألت طلعت عن حال فارس. فقال لي 'إنه بخير، اعتني بنفسك.' ولكن قلبي كان يقول لي أنه ليس على ما يرام. رأيت محمد في المستشفى، لم أعلم بأنه كان ميتاً. كانوا يجهزونني للدخول لغرفة الأشعة. كان هناك ستار بين الأسرِّة، تحرك الستار بعيداً ورأيت محمد يرقد هناك. كنت أبكي، وأخبرت الممرضة بأنه ابني."

رقدت انتصار في مستشفى الشفاء لمدة ١٥ يوماً. وبسبب خطورة حالتها، تم تحويلها إلى مصر وبقيت هناك لمدة شهر. منذ العدوان، خضعت لثلاث عمليات في ساقيها ومعدتها. عندما التقى بها فريق المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان، كان لا يزال هناك شظيتان في جسد انتصار. "لم أتمكن من السير بشكل طبيعي لمدة ثلاثة أشهر. كنت بحاجة للكثير من العلاج الطبيعي، والآن من الصعب علي جداً أن أصعد السلم، ويقوم زوجي بحملي. ما زلت بحاجة إلى العلاج الطبيعي، حيث يأتي معالج طبيعي إلى المنزل. علي أن أعود إلى مصر بعد ستة أشهر. إنني أتناول الأدوية الآن لمعالجة الآثار الجانبية للشظايا، وسوف يرون ما إذا كنت بحاجة لعملية أخرى. إنني أعاني كثيراً. إنني أتألم كثيراً بسبب المواضع التي حدثت فيها الإصابة."

تعرض منزل عائلة حمودة لتدمير جسيم، فقد أدى قصف الدبابات إلى تدمير الجدران وإحداث فتحات فيها، كما تم تدمير الأبواب والنوافذ. الآن، ومنذ شهر أبريل، تقطن عائلة حمودة في شقة مستأجرة. وبينما تقوم حماس بدفع مبلغ ٢٠٠ دولار أمريكي لقاء إيجار الشقة التي يقطنها جيران عائلة حمودة، فإن عائلة حمودة لا تتلقى أي دعم. وتقول انتصار لكون زوجها طلعت هو أحد مناصري حركة فتح، فإنهم لا يتلقون أية تعويضات.

تقول انتصار: "دائماً أتذكر ولديَّ. إنهما شهيدان وهذه إرادة الله. ولكن رحيلهما مؤلم جداً. أعتقد بأن ألمي هو أمر الله لكي يساعدني على التوقف عن التفكير بما يجري. الآن ولأن الألم أصبح أقل، فإنني أفكر أكثر وأكثر. أتذكرهما، إنه لأمر في غاية القسوة. لقد خدرني الدواء الذي كنت أتناوله في السابق فأذهب إحساسي. يقول أفراد عائلتي إنني كنت أقول أشياء، ولكنني لا أتذكر أنني قلتها. بعد أن توقفت عن تناول الدواء، عاودني الألم مرة أخرى."

"أحلم بإعادة بناء منزلنا، فأنا أحبه كثيراً. تمكنا فقط من أخذ أريكة وكرسيين من منزلنا، أما ما تبقى، فقد ذهب جميعه. أحلم بأن أحمل ثانية، وأن يكون لي طفل آخر."

قامت الدبابات الإسرائيلية بقصف منزل عائلة حمودة عدة مرات. حتى وإن كان هناك تواجد لنشاط المقاومة في المنطقة، كان لزاماً على القوات الإسرائيلية تجنب إصابة المدنيين. لم يستخدم منزل عائلة حمودة، الذي هو مبنى مدني، من قبل المقاومة. بسبب الاستهداف المتكرر للمنزل، الذي دكته نيران الدبابات الإسرائيلية في ثلاث مرات منفصلة، فإن المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان يعتقد بأن المنزل استهدف بشكل مباشر، وهو ما يشكل انتهاكاً لمبدأ التمييز، وجريمة حرب، وفقاً للمادة ٨(٢)(ب)(٢) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.

يرى المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان بأن الاستهداف المباشر لأحد الأعيان المدنية، الذي ينتج عنه مقتل سكان مدنيين، يشكل جريمة قتل عمد وهي مخالفة جسيمة لاتفاقيات جنيف. لقد كان من المنطقي توقع أن مهاجمة منزل مدني سينتج عنها إصابة أو مقتل سكانه المدنيين.

فضلاً عن ذلك، منعت القوات الإسرائيلية سيارات الإسعاف من دخول المنطقة، وهو انتهاك واضح لمسئولية هذه القوات التي تحددها، من بين مواد أخرى، المادة ١٦ من اتفاقية جنيف الرابعة.

دراسة حالة رقم ٧: وفاء عواجة

«كنت في الشارع مع ابني. كنت أتحدث إليه طوال الوقت وأقول له بأن الأمور ستكون على ما يرام. طلب مني إبراهيم بألا أموت، فقلت له 'حسناً، إن الجنود الإسرائيليين آتون. سوف ينقذوننا' أطلقوا علي النار مرة أخرى فأصابوني في الصدر وأصابوا إبراهيم في الرأس. كانوا على بعد حوالي عشرة أمتار".

كمال عواجة

ذكريات ووفاء وضياء عواجة © سارة ماليان/ المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان

بتاريخ ٤ يناير ٢٠٠٩، كانت وفاء عواجة (٣٣ عاماً) نائمة في منزلها شمال غرب بلدة بيت لاهيا عندما أتى الجنود الإسرائيليون برفقة الجرافات لهدم منزلها. لم تعط القوات الإسرائيلية أي تحذير مسبق للعائلة بالهدم، فقد استيقظ أطفال العائلة على صوت الجنود الإسرائيليين أثناء هدمهم لجدران مجاورة. تمكنت العائلة من الفرار من المنزل حيث سقطت الجدران حولهم.

كانت وفاء عواجة تقطن مع زوجها كمال (٤٨ عاماً) في منزل مكون من ثلاث غرف في شمال غرب بلدة بيت لاهيا في شمال قطاع غزة، مع أطفالهما الستة: أمسيات (١٢ عاماً)، صبيحي (١٠ أعوام)، إبراهيم (٩ أعوام)، هالة (٧ أعوام)، ضياء (٣ أعوام) وذكريات (عام ونصف).

عندما عادت وفاء إلى منزلها بعد عملية الهدم بوقت قصير، أصيب ابنها إبراهيم. وعندما حاولت العائلة طلب المساعدة من الجنود الإسرائيليين، فتحوا عليهم النار للمرة الثانية. وبينما كان الجنود الإسرائيليون يقتربون من العائلة، أطلقوا النار للمرة الثالثة. أصيب كمال في صدره بينما أصيب إبراهيم في رأسه وقتل على الفور. وتعيش وفاء الآن مع زوجها وأطفالهما الخمسة المتبقين في مخيم إيواء مؤقت في منطقة العطاطرة. لقد أصيب جميع أفراد العائلة بالصدمة بسبب التجربة التي مروا بها. في أثناء إعداد هذا التقرير، كانت أمسيات وصبحي يتلقيان العلاج النفسي في بولندا تحت رعاية برنامج غزة

أجريت المقابلة مع:
وفاء عواجة (٣٣ عاماً)
كمال عواجة (٤٨ عاماً)

تاريخ الحادث:
٤ يناير ٢٠٠٩

المكان:
شمال غرب بيت لاهيا

الضحايا:
إبراهيم عواجة (٩ أعوام): قتل
كمال عواجة (٤٨ عاماً): إصابة
وفاء عواجة (٣٣ عاماً): إصابة

انتهاكات القانون الدولي:
القتل العمد:
مخالفة جسيمة لاتفاقيات جنيف
الاستهداف المباشر للمدنيين:
المادة ٨ (٢) (ب) (١) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية
الاستهداف المباشر للأعيان المدنية:
المادة ٨ (٢) (ب) (٢) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية

للصحة النفسية. حاولت العائلة الاستقرار في المخيم وقبول ما آلت إليه حالهم لعدم وجود أي أمل لديهم في العودة إلى منزلهم. وعلى الرغم من الجهود القصوى التي بذلتها العائلة، لا تزال الحياة في المخيم صعبة، حيث تتعرض العائلة للظروف الجوية السيئة كما تفتقد التمتع بالخصوصية.

بتاريخ ٢١ يونيو ٢٠٠٩، التقى فريق من المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان بوفاء وكمال في خيمتهما في منطقة العطاطرة. أخبر كمال طاقم المركز أنه في الصباح الذي تم فيه هدم منزلهم: "لم يكن هناك أي تحذير ولا أي مكبرات صوت. كنا نائمين. أيقظتني ابنتي وقالت لي أن الإسرائيليين يهدمون الجدار الخارجي. وأخبروني بأن الجرافة كانت قادمة إلى منزلنا. كنا لا نزال في المنزل وكنا سنغادر المنزل من الباب. ولكن كانت هناك فتحة في الجدار، فقالت وفاء إنه يتعين علينا الخروج من خلالها. وبمجرد أن ابتعدنا عن الباب، سقط السقف. إنها إرادة الله أننا لا نزال على قيد الحياة."

قبل الهجوم، كان كمال يعتقد بأن عائلته في مأمن داخل منزلهم: "اعتاد الإسرائيليون المجيء عندما كانوا يشنون الهجمات على غزة، ولكنهم كانوا يمرون عن منزلنا ويتجاوزونه دائماً. أنا لا أشكل تهديداً عليهم، واعتقدت بأنني في مكان آمن مع أطفالي. في المرات السابقة، كان هناك قصف وتفجير ودبابات، ولكنني لم أعتقد أبداً بأن الأمور ستصل إلى هذا الحد."

بعد عملية الهدم مباشرة، اختبأ أفراد العائلة في أرض خالية بالقرب من منزلهم. شعر أفراد العائلة بالتجمد في ساعات ما قبل الفجر فقد كان فصل الشتاء. لقد وصل التفكير بكمال أن يحرق ملابسه حتى يحصل على الدفء. وعندما بزغ الضوء، حاولت العائلة العودة إلى منزلها، ولكن كان هناك العديد من الجنود الإسرائيليين في المنطقة، وشعر أفراد العائلة بأن في عودتهم مخاطرة كبيرة. قرر كمال أن من الأكثر أماناً أن تذهب عائلته إلى أحد منازل العائلات البدوية القريبة من المنطقة. ولكن لم يكن لدى العائلة ما يكفيها من الملابس، وشعرت وفاء بأنه لا ينبغي عليها الذهاب إلى جيرانها دون جلبابها. عادت وفاء إلى المنزل بصحبة إبراهيم وضياء وصبحي.

وبينما كانت وفاء وأطفالها يستعدون لمغادرة المنزل بعد أن جمعوا بعض الملابس، أصيب إبراهيم في خاصرته. كان ذلك في وضح النهار وكانت الساعة حوالي الثامنة والنصف صباحاً، بينما كان الجنود على بعد ١٠٠ متر تقريباً. قال كمال: "لم يقل الإسرائيليون لنا شيئا، من البداية حتى النهاية."

حمل كمال ابنه إبراهيم وسار باتجاه الجنود الإسرائيليين: "لم تكن هناك وجهة أخرى أقصدها. كنت أطلب منهم النجدة، قائلاً لهم 'ابني مصاب'، فأطلقوا علي النار وأصابوني في ساقي وأصيبت زوجتي في كلتا ساقيها. سقطت أرضاً وأنا لا أزال أحمل إبراهيم." كان كمال يرقد في الشارع مع ابنه، بينما كانت وفاء وبقية الأطفال يختبئون خلف جدار على بعد أربعة أمتار تقريباً.

تذكر كمال ما مر به قائلاً: «كنت في الشارع مع ابني. كنت أتحدث إليه طوال الوقت وأقول له أن الأمور ستكون على ما يرام. طلب مني إبراهيم بألا أموت، فقلت له 'حسناً، إن الجنود الإسرائيليين آتون. سوف ينقذوننا.' أطلقوا علي النار مرة أخرى فأصابوني في الصدر وأصابوا إبراهيم في الرأس. كانوا على بعد نحو عشرة أمتار. فارق إبراهيم الحياة على الفور. كانت طلقتين فقط. تظاهرت بالموت. اعتقدت بأن الإسرائيليين لو ظنوا بأنني على قيد الحياة، فسوف يطلقون علي النار ثانية. كانت أجزاء من مخ إبراهيم ودماغه تتناثر على كتفي."

قالت وفاء: "اعتقدت بأن زوجي وابني قد قتلا. كنت أبكي. أخبرني أحد أطفالي أنهم رأوا عيني كمال تتحركان. صرخت على كمال بأن يحرك إصبعه إن كان حياً، فرفع إصبعه ليلفظ بالشهادتين. سألته عن إبراهيم، فقال لي بأنه قتل. تملكني إحساس غريب جداً. كنت سعيدة لأن كمال لا يزال على قيد الحياة، ولكنني كنت في غاية الحزن لمقتل إبراهيم. كنت فقط على بعد أربعة أمتار. لم أتمكن من الوصول إليه لأنني كنت مصابة في كلتا ساقيّ. لم أتمكن من الوصول إليه."

نجح كمال في الزحف والوصول إلى وفاء، ولكن بسبب جروحه كان مضطراً لأن يترك إبراهيم في الشارع. كانت الساعة ما بين التاسعة والنصف والعاشرة صباحاً.

قال كمال: "كان الوضع معقداً جداً. كان ابني ميتاً وملقى في الشارع، وكنت مصاباً وكانت زوجتي مصابة في ساقيها

ولم تكن تقوى على الحركة. لم يكن لدينا هواتف محمولة لأن بطارياتها قد فرغت. كنا قد انقطعنا عن العالم الخارجي. كنت أحاول التفكير في كيفية الوصول إلى جيراننا البدو لطلب المساعدة. لم أتمكن من إرسال أطفالي لأن الوضع كان خطيراً جداً. في العادة، لا يستغرق الأمر أكثر من عشر دقائق للوصول إليهم. هذه المرة، استغرقني الأمر أربع ساعات للوصول إليهم زحفاً. فقدت الوعي لبضع الوقت في طريقي إليهم. وصلت أخيراً إلى البدو وطلبت سيارة إسعاف لمحاولة الوصول إلى عائلتي ومساعدتي في إنقاذها."

في البداية، قال أفراد طاقم الإسعاف لكمال إنهم سيحاولون الحصول على تنسيق للوصول إلى عائلته وإن عليه الانتظار. وبحلول مساء ذلك اليوم، فقد كمال الأمل في الحصول على التنسيق وحاول العودة إلى عائلته، ولكن جيرانه البدو لم يسمحوا له قائلين بأن الوضع خطير جداً. حاولت امرأة مسنة الوصول إلى العائلة ظناً منها أنها لن تكون هدفاً للجنود. ولكن بمجرد مغادرتها للمنزل، اشتد إطلاق النار واضطرت إلى العودة. وفي الصباح، حاول كمال مع الإسعاف مرة أخرى، ولكنه أبلغ بأنه تم تحويل المنطقة إلى منطقة عسكرية مغلقة وأنهم لن يستطيعوا القدوم.

قالت وفاء: "كنا ننتظر كمال. كانت الدبابات تمر بمعدل كل نصف ساعة تقريباً، كان هناك حوالي ٤٠ دبابة. ظل الجنود ينظرون إلينا، وكان بعضهم يبتسم. رأيت الجندي الذي أطلق النار على كمال وإبراهيم، كان على بعد عشرة أمتار فقط. ما زلت أرى وجهه. كان جميع الأطفال يحاولون الاختباء ورائي. قلت له 'توقف عن إطلاق النار، لقد قتلت زوجي وابني، أرجوك لا تطلق النار'. كان جميع الأطفال يبكون. لم يقل الجنود شيئاً لنا. كلما كنت أصرخ، كان هو يبتسم. كان هناك جنديان."

وواصلت وفاء قائلة: «كنت بمفردي على مدار ٢٤ ساعة تقريباً. كانت جروحي مؤلمة جداً، ولكن عندما رفعت بنطالي، أدركت أنها لم تكن بالجروح الكبيرة. كان الجو بارداً جداً، ولم يكن لدينا شيء يغطينا. رقدت على ظهري ورقد جميع الأطفال حولي. غطينا أنفسنا بجلبابي. كان علي أن أمنح القوة لأطفالي. لم أرد لهم أن يشعروا بالفزع. ولكنني كنت فزعة جداً فقد قتل ابني وغاب زوجي عني لوقت طويل. رأيت قميص إبراهيم يتحرك، فظننت أنه لا يزال على قيد الحياة، ولكنني تذكرت أنه قد أصيب وكنت أعلم أنه كان ميتاً. ظل ضياء ينادي على إبراهيم 'تعال، تعال'. لم يكن يعلم بأن أخاه قد قتل."

"أرسلت صبحي ليغطي جسد إبراهيم ولكنه لم يقو على فعل ذلك، فقد قال لي 'لا أستطيع يا أمي. فإبراهيم ليس له عينان ولا وجه'."

وفي الصباح، تمكن كمال من العودة إلى عائلته. تحركوا باتجاه الجهة الخلفية لأنقاض منزلهم أملاً منهم في العثور على ملجأ وبعض الطعام والشراب. ظل أفراد العائلة لمدة أربعة أيام فوق أنقاض منزلهم، وناموا دون بطانيات تغطيهم. وتمكنوا من العثور على بعض الزعتر والدقة بين الأنقاض ليقتاتوا بها.

علقت وفاء قائلة: «كان ضياء خائفاً من أن يقوم أحد بأخذ الطعام، فقد أبقاه معه طوال الوقت. حتى الآن، عندما يذهب إلى فراشه، يأخذ قطعة من الخبز معه. وإن أخذنا قطعة الخبز من يده، فإنه يستيقظ.»

وفي اليوم الرابع، مرت امرأتان بدويتان بالقرب من المكان، ووعدتا بأن تأتيا للنجدة وأن تعودا بعربة يجرها حمار. نقلت المرأتان أفراد العائلة إلى مستشفى كمال عدوان وخرجوا من المستشفى في نفس اليوم حيث عادوا إلى مبنى صغير بالقرب من منزلهم. وبعد عشرة أيام من العدوان، تم إنشاء المخيم الذي يقطنون فيه الآن.

قالت وفاء: «عندما يسأل الناس كم من الوقت سوف نمضي هنا، أقول لهم ليس أقل من عام. أصبحت الحياة معقدة جداً، ولكنها أسهل الآن. في البداية، كنا نحن السبعة في خيمة واحدة، وكنا مصابين ولم نستطع فعل أي شيء. لم تكن هناك مياه في المخيم، فإن أردت أن أغسل ملابسنا، كان علي الذهاب إلى منزلنا القديم.»

على مدار ثلاثة أشهر من الإقامة في المخيم، بقي أفراد العائلة دون الغاز الذي تحتاجه للطبخ وإعداد الطعام. وكان عليهم إعداد طعامهم على النار التي أوقدوها من الأخشاب. تحصل العائلة في المخيم على الخبز كل يوم وحصلوا على الخيام من وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين ومن مؤسسة الروتاري الدولية. أما الأشياء الأخرى، فيشترونها بأنفسهم.

لقد استغرق الأمر كثيراً من الوقت كي تتمكن وفاء وعائلتها من التأقلم مع الحياة في المخيم: "كان الوضع في

دورة المياه مزرياً جداً. كان هناك ٦٠ خيمةً ودورتا مياه اثنتان فقط. كنت أطلب من أطفالي الذهاب إلى دورة المياه الموجودة في المدرسة. وكنت أذهب مع ابنتي الكبرى إلى دورة المياه التي في منزلنا حيث لم تكن مدمرة. هذه مسألة حساسة جداً بالنسبة للنساء. كنت أمشي لمسافة كيلو متر تقريباً كي أصل إلى هناك. الآن أحضروا حاوية للمراحيض وأصبح الوضع أفضل. يوجد ١١ خيمة فقط في المخيم الآن."

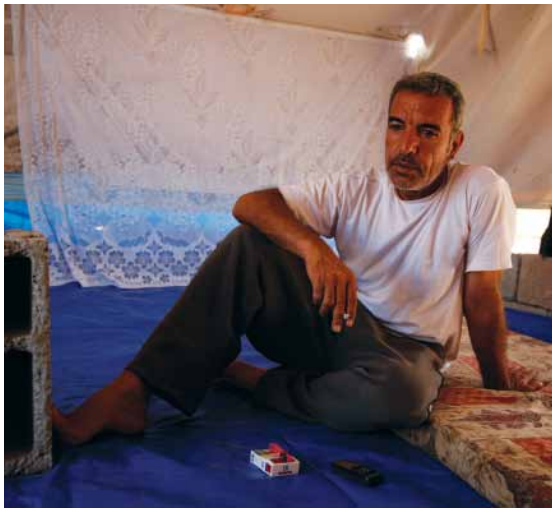

كمال عواجة © سارة ماليان/ المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان

قالت وفاء لطاقم المركز: "لم تكن هناك كهرباء أو مياه من قبل. حتى أنه لم يكن بمقدورنا شحن هواتفنا النقالة. كانت تمطر وكان الجو بارداً، عندما سمع الصغار صوت الأمطار والرعد ظنوا أنهم الإسرائيليون. تغطى كل شيء بالوحل بسبب الأمطار. تحسن الوضع قليلاً الآن لأنه يوجد لدينا أربع خيام. ليس لدينا أمل في العودة إلى البيت في وقت قريب، لذلك بدأنا بزراعة الخضروات."

تلقت العائلة مبلغ ٤٠٠٠ يورو من الحكومة في غزة، وحاول كمال أن يستأجر شقة ولكن الإيجار كان باهظاً جداً. كانت عائلة عواجة تملك المنزل وقطعة الأرض حيث كانوا يعيشون. قال كمال: "كنا نطوره شيئاً فشيئاً قبل العدوان. كلما كان يتوفر لدينا مبلغ من المال، كنا نبني جزءاً من المنزل. كانت لنا حياة، أما الآن، فلم يعد الأمر كذلك." قامت الحكومة في غزة بتوفير كارفان للعائلة كي تعيش فيها، ولكن أصرت الحكومة على وضع هذا الكارفان على موقع منزلهم القديم. رفض كمال ذلك معتقداً أن المنطقة خطيرة جداً.

قالت وفاء: "لم تسمح لنا الحكومة بإحضار الكارفان إلى هنا. قالوا بأنه يمكننا فقط وضعها في مكان منزلنا القديم. أنا خائفة على الأطفال، يوجد أفاعي هنا لأن المنطقة مفتوحة جداً. لا يوجد مكان مثل المنزل. كانت الحياة أفضل بكثير في السابق. أملي وحلمي أن أعود إلى منزلي قبل الثالث من يناير (٢٠١٠). حتى وإن أنشأوا لنا مكاناً في أي منطقة أخرى، فلن أشعر بشيء. قلبي مكسور لأن إبراهيم قد مات وتأثر جميع أطفالي بسبب العدوان. يشعر أطفالي بالرعب طوال الوقت. إن سمعوا ضوضاء غريبة، يعتقدون بأنهم الإسرائيليون. يوجد كلاب هنا في المخيم وبعوض وذباب."

"كان صبحي مثل التوأم لإبراهيم وتأثر كثيراً بموته. إنه في بولندا الآن.[٣١] حتى وإن تمكنوا من إعادة بناء المنزل، فكيف يمكنهم إعادة بناء حياتنا؟»

حاول أفراد العائلة التأقلم مع الوضع في المخيم. «علي أن أستمر في العيش من أجل أطفالي. بدأت بزراعة الخضروات هنا. نحن في عام ٢٠٠٩، ولكننا عدنا إلى الوراء إلى عام ١٩٤٨,[٣٢]»

في شهر أبريل، أحيت العائلة عيد ميلاد إبراهيم ودعت جميع زملائه في الفصل.

إن القتل العمد لإبراهيم يشكل مخالفة جسيمة لاتفاقيات جنيف. ويشكل استهداف وفاء وكمال وإبراهيم بينما كانوا يقتربون من الجنود الإسرائيليين جريمة حرب وفقاً للمادة ٨(٢)(ب)(١) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية. إذا أخذنا بعين الاعتبار موقع منزل عائلة عواجة وانعدام نشاط المقاومة في المنطقة، فإن المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان يعتقد بأن تدمير منزل العائلة لا تبرره ضرورة عسكرية. وبالتالي، فإن تدمير المنزل يشكل جريمة حرب، وفقاً للمادة ٨(٢)(ب)(٢) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.

---

٣١ أثناء إعداد هذا التقرير، كان صبحي وأمسيات في بولندا يخضعون للعلاج النفسي تحت إشراف برنامج غزة للصحة النفسية.

٣٢ هذه إشارة إلى النكبة الفلسطينية المتمثلة باقتلاع الفلسطينيين وطردهم من أرضهم عند تأسيس دولة إسرائيل.

الهجمات العشوائية

«مضت أيام كنا نطلق فيها النار فقط في داخل تجمعات سكنية، داخل مدينة غزة نفسها»
شهادة رقم ٦، تقرير كسر الصمت الخاص بعملية الرصاص المصبوب

الهجمات العشوائية هي الهجمات التي «من شأنها أن تصيب، ..... الأهداف العسكرية والأشخاص المدنيين أو الأعيان المدنية دون تمييز.»[٣٣]

يعرف القانون الدولي الإنساني العرفي الهجمات العشوائية بأنها الهجمات التي:

(أ) لا توجَّه إلى هدف عسكري محدد،
(ب) تستخدم طريقة أو وسيلة قتال لا يمكن توجيهها إلى هدف عسكري محدد، أو
(ت) تستخدم طريقة أو وسيلة قتال لا يمكن تحديد آثارها على النحو الذي يقتضيه القانون الدولي الإنساني.[٣٤]

تعتبر الهجمات غير المتناسبة نوعاً من أنواع الهجمات العشوائية. الهجوم غير المتناسب هو الذي «يمكن أن يتوقع منه أن يسبب خسارة في أرواح المدنيين أو إصابة بهم أو أضراراً بالأعيان المدنية، أو أن يحدث خلطاً من هذه الخسائر والأضرار، يفرط في تجاوز ما ينتظر أن يسفر عنه ذلك الهجوم من ميزة عسكرية ملموسة ومباشرة.»[٣٥]

على المستوى الدولي، شن أي هجوم عشوائي يعتبر جريمة حرب، حسبما ورد في المادة ٨ (٢) (ب) (٤) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.

٣٣ المادة ٥١(٤) من البروتوكول الأول الإضافي إلى اتفاقيات جنيف.

٣٤ اللجنة الدولية للصليب الأحمر، القانون الدولي الإنساني العرفي، القاعدة ١٢ (٢٠٠٥).

٣٥ المادة ٥١(ب) من البروتوكول الأول الإضافي إلى اتفاقيات جنيف.

دراسة حالة رقم ٨: ليلى العر

«بقينا خارج العالم من يوم السبت حتى يوم الخميس، لم يكن لدينا اتصال بأحد».

ليلى العر

ليلى العر © سارة ماليان/ المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان

في حوالي الساعة الخامسة مساءً بتاريخ ٣ يناير ٢٠٠٩، كان أفراد عائلة العر يجلسون خارج منزلهم في شرق جباليا عندما بدأ القصف المدفعي لمنطقتهم. نتيجة للقصف، قتل كل من محمد (٤٥ عاماً) وهو زوج ليلى العر، كما قتل ثلاثة من أطفالها هم راكان (٦ أعوام)، إبراهيم (١٢ عاماً) وفداء (١٨ عاماً). وفي اليوم التالي، توفيت إيمان (٢٦ عاماً)، وهي زوجة ابن ليلي، متأثرة بجراحها.

كانت ليلى العر تقطن مع زوجها وأطفالها السبعة في منطقة تبعد حوالي ٦٠٠ متر عن الحدود مع إسرائيل، وهي واحدة من أكثر المناطق التي تتعرض للاجتياحات البرية الإسرائيلية. بعد حوالي ١٥ دقيقة من القصف المدفعي الذي ضرب منزل عائلة العر، قامت القوات الإسرائيلية باجتياح المنطقة. في اليوم الذي وقع فيه الهجوم، كانت ليلى حاملاً في شهرها الثاني، وفقدت جنينها بتاريخ ٤ يناير.

ونتيجة للهجوم ومقتل زوجها وأطفالها، عانت ليلى العر من صدمة نفسية شديدة. بقيت غير قادرة على الكلام لمدة شهر بعد الهجوم، وهي الآن تخضع للعلاج النفسي الذي تقدمه لها مؤسسة أطباء بلا حدود. تعيش ليلى الآن مع ناهض، ابن زوجها، وأطفالها الأربعة الناجين في شقة مستأجرة في مدينة الشيخ زايد، حيث أن هنالك خطورة كبيرة في العودة إلى منزلهم. لقد قامت القوات الإسرائيلية بتدمير جميع ممتلكات عائلة العر.

بتاريخ ٩ مايو ٢٠٠٩، التقى فريق من المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان بليلي وناهض العر في شقتهما في مدينة الشيخ زايد في شمال قطاع غزة. قالت ليلى لفريق المركز إنه بالرغم من شدة الاعتداءات التي شنت في الأسبوع السابق: "لم نتوقع أن يحدث شيء. اعتقدنا أن الأمر سيكون كالمعتاد. عادة ما تكون هناك اشتباكات في المنطقة لأنها قريبة جداً من الحدود. كنا معتادين على الأمر. رأينا الدبابات والجنود بالقرب من منزلنا، ولكنهم كانوا يرحلون دائماً." ولكن بعد أن ضربت القذيفة الأولى منزل عائلة العر، قرر زوج ليلي، محمد العر، أن تقوم العائلة بمغادرة المنطقة، وبدأت العائلة بتحميل أمتعتها

أجريت المقابلة مع:
ليلى العر (٤٣ عاماً)
ناهض العر (٢٦ عاماً)

تاريخ الحادث:
٣-٨ يناير ٢٠٠٩

المكان:
المنطقة الحدودية – شرق جباليا

الضحايا:
محمد موسى العر (٤٢ عاماً): قتل
إيمان العر (٢٦ عاماً): قتل
فداء العر (١٨ عاماً): قتل
إبراهيم العر: (١٢ عاماً): قتل
ركان العر (٦ أعوام): قتل
ليلى العر (٤٣ عاماً): إصابة
ناهض العر (٢٦ عاماً): إصابة
ياسمين العر (١٤ عاماً): إصابة
ملاك (عامين ونصف): إصابة

انتهاكات القانون الدولي:
القتل العمد:
مخالفة جسيمة لاتفاقيات جنيف
شن هجمات عشوائية:
المادة ٨ (٢) (ب) (٤) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية

على عربة يجرها حمار. سقطت القذيفة الثانية على العربة ودمرتها وأدت إلى مقتل كل من محمد وراكان على الفور، بينما أصيب فداء وإبراهيم بجراح خطيرة. كذلك أصيب كل من ناهض وملك وياسمين وليلى.

سار ناهض، الذي أصيب في كفه وساقيه وصدره، مترنحاً إلى منزل جارهم، محمد العطاونة، طلباً للنجدة. استخدم محمد العطاونة جهازه اللاسلكي للاتصال بسيارة إسعاف أو بالصليب الأحمر. ولكن بسبب تواجد قوات الاحتلال الإسرائيلي، لم تتمكن سيارات الإسعاف من الوصول إلى المنطقة. وبعد ساعتين من الزمن، قرر ناهض مغادرة المنزل. "كنت أنادي على عائلتي كي أحاول إنقاذهم، ولكن لم يجبني أحد. كانوا جميعهم خائفين...." وفي النهاية، قام أحد أبناء عم ناهض بنقله إلى مستشفى العودة، وانقطعت عنه أخبار عائلته لمدة خمسة أيام.

قالت ليلى: "بعد أن أصابتنا القذائف، لم أعرف من تبقى على قيد الحياة ومن فارق الحياة. رأيت إبراهيم، كان جسده مغطى بالدماء. كان عمره ١٢ عاماً. وضعت يدي عل رأسه، وتحسست إصابته وعلمت بأنه كان يموت... حملته عندما التقط نفسه الأخير. وبعدها، أخذت إبراهيم إلى الداخل، كي أحميه. كنت أخشى أنه لو حدث هجوم آخر فسوف يقطع إلى أشلاء. أخبرتني ابنتي نداء أن راكان توفي أيضا. هرعت إلى الخارج ورأيت فداء على الأرض ممزقة إلى أشلاء، مثل دجاجة مذبوحة... ابنتي. أحضرتها إلى الداخل، ووضعتها إلى جانب إبراهيم ... كانت مصابة في جميع أنحاء جسدها. قلت لنفسي 'مات إبراهيم، ومات ركان، والآن سوف أفقد فداء أيضا'. كنت أنادي على زوجي محمد، ولكن وقتها لم أعلم أنه هو الآخر قد قتل أيضا. لم أستطع لا أنا ولا ابنتي حمل راكان، فقد كان جسده ممزقاً إلى أشلاء. ثم سمعنا صوت إيمان، زوجة ناهض، كانت تطلب سيارة إسعاف وكانت تستنجد بأن يساعدها أحد."

بعد الهجوم، اشتعلت النيران في منزل عائلة العر. قالت ليلى: «كل جيراني طلبوا مني أن آتي. رفضت أن أترك الأطفال. لم أقو على ذلك. حاولت أن أحضر البطانيات وأغطيهم. كانت إيمان لا تزال على قيد الحياة، وكانت قد فقدت ساقيها وأحد ذراعيها.... أخذتهم جميعاً، واحداً تلو الآخر، ووضعتهم في منزل الجيران.»

على مدار الأيام الخمسة التالية، كانت ليلى وعائلتها تحتمي في منزل عائلة العطاونة، فقد منعتهم قوات الاحتلال الإسرائيلي من مغادرة المنطقة، فاحتموا في العراء. ولكي يحموا أنفسهم من عوامل الجو، ومن القصف، وضعوا أكياساً بلاستيكية فوقهم. بقي ١٥ شخصاً على هذا الحال من يوم السبت حتى يوم الخميس. لم يكن لديهم طعام، وكانت بضع زجاجات مياه فقط تتنقل بينهم للفتيات. تذكرت ليلى قصتها: «كانت ياسمين تنزف. فقدت جنيني، وكانت ساقي تنزف أيضا. بقينا خارج العالم من يوم السبت حتى يوم الخميس، لم يكن لدينا اتصال بأحد. كنت أنام مع أطفالي القتلى.»

خلال تلك الأيام الخمسة، كانت قوات الاحتلال الإسرائيلي تحتل المواقع بالقرب من عائلتي العر والعطاونة. كان أفراد العائلتين يشيرون للقوات «لنخبرهم بأننا نحتاج الماء، وأخبرناهم بأن بيننا أشخاصاً مصابين وأننا نحتاج إلى سيارات إسعاف.» كانت الاستجابة الوحيدة للجنود بأن كانوا يطلقون النار باتجاه العائلتين. ماتت إيمان متأثرة بجراحها في الرابع من يناير.

في حوالي الساعة الثامنة صباحاً من يوم الخميس الموافق للثامن من يناير، اقترب جنديان إسرائيليان من المجموعة وسألوا من في الداخل. واصلت ليلى قائلة: «أجابت والدة محمد العطاونة 'نحن هنا، مع جيراننا، نحن ١٥ فرداً'. حاول محمد (العطاونة) أن يريهما بطاقة هويته، ولكنهما قالا بأنهما لا يريدان فقط بطاقة هويته، ولكنهما يريدان الآر بي جيه خاصته. قالا بأننا من حماس، فقال لهما محمد 'نحن لسنا من حماس ولسنا من رجال المقاومة، ولكننا بدو ومربو مواشي'."

وبعد عدة دقائق، عاد الجنود مع الجرافات. قالت ليلى: «قالت لهم والدة محمد، 'معنا جثث أشخاص قتلى، نريد أن ندفنهم، ومعنا مصابون، نريد سيارات إسعاف'. بدأت الجرافات بتجريف الأرض، وأمرتنا والدة محمد العطاونة بأن نخرج لأن الجرافات قد أتت ولأننا كنا في خطر كبير."

عندما بدأت الجرافات بتدمير المنطقة، فرت العائلتان من المنطقة باتجاه جباليا: «دمروا كل شيء، الأرض والحيوانات. تركت أطفالي، فقد كانت مسألة حياة أو موت، ولم نتوقف عن الركض، ولم أتمكن من حملهم. رأيت الجرافة عندما بدأت بتجريف الأرض، وعندما جرفت جثثهم. حاولت أن أعود، ولكن نداء قالت لا، إنهم ميتون.

طلبت من أطفالي أن يسامحوني لأنني لم أتمكن من إنقاذهم ولأنني لم أتمكن من دفنهم. رأيت الجرافات وهي تدمر كل شيء، حتى الجثث. لا يمكنكم تخيل الشعور في تلك اللحظة. لم أتمكن من حملهم، ولم أتمكن من دفنهم. ركضنا حتى وصلنا إلى بلدة جباليا. كان هناك إطلاق نار على طول الطريق من الدبابات ومن الجنود، وحتى من الطائرات. كنا نركض جميعنا، دون أحذية، ودون غطاء على رؤوسنا. كنت أحمل ملك، وكنت أعتقد أنها ميتة أيضا، لأنها لم تتمكن من الحركة أو التنفس بشكل طبيعي.»

إبراهيم وراكان العر © سارة ماليان/ المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان

كان أفراد العائلة منهكين عندما وصلوا إلى بلدة جباليا. تذكرت ليلى: «سقطت ملك من بين ذراعي. سمعت رجلاً يقول هؤلاء هم عائلة ناهض، وأنه كان على قيد الحياة، وبعد ذلك لا أتذكر أي شيء. استيقظت في المستشفى. أخذني أفراد عائلتي إلى منزل العائلة في مدينة غزة. مكثت هناك فترة طويلة. كنت في وضع سيء للغاية.»

خلال ما مرت به ليلى من تجارب، كانت ليلى تعتقد بأن زوجها قد نجا بنفسه. وعندما كانت تقيم مع أقربائها في مدينة غزة، سمعت شقيقها يقول لنداء بأنه سيتصل على إسرائيل فقد يكون محمد يرقد في أحد المستشفيات هناك. ولكن ليلى سمعت نداء تقول: 'لا تتعب نفسك، لقد رأيته. لقد قتل.' "عندما سمعت هذا، غبت عن الوعي."

عانت ليلى من صدمة نفسية شديدة بسبب ما مرت به: "مر شهر دون أن أقوى على الكلام. لم أرغب برؤية أحد أو الحديث إلى أي أحد لفترة طويلة بعد ذلك." وبعد شهر من العدوان، قام شقيق ليلى الأكبر بالاتصال على مؤسسة أطباء بلا حدود، فقد أخبرتنا ليلى بأنها: "بقيت معهم لمدة ثلاثة شهور. يقومون بزيارتي مرتين في الأسبوع ويعطونني الدواء كي أتمكن من النوم لأنني لا أستطيع النوم دون أخذ هذا الدواء."

بعد وقف إطلاق النار، عاد شقيق ليلى الأكبر إلى المنطقة ووجد الأطفال. وبعد ثلاثة أيام، تم العثور على جسد محمد. تم دفن الأجساد بالقرب من المنزل.

اليوم، وبعد مرور ستة أشهر على انتهاء العدوان، يناضل أفراد عائلة العر من أجل إعادة بناء حياتهم. لقد فقدوا كل ممتلكاتهم، مواشيهم ومنزلهم. قالت ليلى: "اعتدنا أن نعيش على الأرض. كنا نملك كل شيء في السابق. وبعد أن أحرقوا المنزل والأرض، لم نجد حتى أي ملابس نرتديها. الصورة الوحيدة لعائلتي كانت لدى أخت ناهض. أخذت صورة لفداء من مدرستها".

ناهض، وهو الذكر الوحيد المتبقي في العائلة، غير قادر الآن على إيجاد فرصة عمل: «لا أستطيع العودة إلى المنطقة، فقد أضحت منطقة مفتوحة جداً بعد أن دمروا كل شيء. تبعد المنطقة ٦٠٠ متر فقط عن الحدود وهي منطقة خطيرة جداً. كان لدينا ٤٠ رأساً من الأغنام والأبقار، ماتت جميعها تقريباً. الآن لدينا خمسة فقط.»

تتلقى العائلة دعماً مالياً محدود من وكالة غوث وتشغيل اللاجئين، بينما ساعدت مؤسسة أطباء بلا حدود العائلة في شراء بعض الأثاث وغسالة، وكذلك تقدم للعائلة سلة غذائية كل أسبوعين.

يرى المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان بأن قوات الاحتلال الإسرائيلي لم تتخذ الاحتياطات اللازمة قبل شن الهجوم. لم يكن هناك أي تواجد لأي نشاط مقاومة في المنطقة ساعة شن الهجوم، وبالتالي فقد كان من المتوقع أن يسفر القصف المدفعي العشوائي لمنطقة ما عن خسائر في أرواح المدنيين وعن أضرار للممتلكات، بشكل مفرط قياساً بالميزات العسكرية المرجوة، وهو ما يشكل جريمة حرب بموجب المادة (٨)(٢)(ب)(٤) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.

كما يرى المركز بأن قتل مدنيين من عائلة العر يشكل جريمة قتل عمد، وهي مخالفة جسيمة لاتفاقيات جنيف.

وفضلاً عن ذلك، ينص القانون الدولي الإنساني على أن: «يتخذ كل طرف في النزاع، كلما سمحت الظروف، وبخاصة بعد أي اشتباك، كل التدابير الممكنة، ودون إبطاء، للبحث عن الجرحى ... وجمعهم وإجلائهم دون أي تمييز مجحف». وعلى الرغم من التواجد المكثف لقوات الاحتلال الإسرائيلي في المنطقة، لم يتم تقديم أية مساعدة للأفراد المدنيين من عائلتي العر والعطاونة. لقد ترك هؤلاء المدنيون دون غذاء ودون مياه كافية لمدة خمسة أيام، ولم يتم تقديم أي علاج للمصابين.

دراسة حالة رقم ٩: صباح أبو حليمة

«كنت أظن أنني أسعد امرأة في العالم، ولكنني الآن فقدت ابنتي وأبنائي وزوجي. أنا مثل أتعس امرأة في العالم، حتى أنني أخشى من النوم. إنني أشعر بالفزع التام في هذا المنزل».

صباح أبو حليمة

صباح أبو حليمة © سارة ماليان/ المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان

بتاريخ ٤ يناير ٢٠٠٩، توغلت القوات البرية الإسرائيلية في منطقتي العطاطرة والسيفا في شمال غرب مدينة بيت لاهيا في شمال قطاع غزة. واستخدمت قوات الاحتلال خلال التوغل الذي صاحبه قصف مكثف أسلحة متعددة، من بينها القذائف التقليدية وقذائف الفسفور الأبيض. سقطت قذيفتان على منزل عائلة أبو حليمة، وكانت إحداهما على الأقل تحتوي على مادة الفسفور الأبيض. كان يعيش في المنزل ١٦ فرداً، كان ١٤ من بينهم في داخل المنزل لحظة وقوع الهجوم الذي أسفر عن مقتل خمسة أفراد من عائلة صباح أبو حليمة. وبتاريخ ١٩ مارس، توفيت غادة أبو حليمة، وهي زوجة ابن صباح، في أحد المستشفيات المصرية متأثرة بجراحها التي أصيبت بها جراء هذا الاعتداء. أما بقية من كانوا في داخل المنزل فقد أصيبوا بجروح، كان من بينهم ثلاثة أفراد أصيبوا بحروق بالغة.

وبينما كان أفراد العائلة يحاولون نقل القتلى والجرحى إلى المستشفى، تم استهدافهم بشكل مباشر من قبل الجنود الإسرائيليين، وهو ما أدى إلى مقتل محمد حكمت أبو حليمة (١٩ عاماً) ومطر أبو حليمة (٢٧ عاماً)، بينما أصيب كل من عمر أبو حليمة (١٧ عاماً) ونبيلة أبو حليمة (٢٨ عاماً) بجراح. اضطرت العائلة إلى ترك القتلى والفرار مع المصابين.

بتاريخ ٢٩ أبريل ٢٠٠٩، التقى فريق من المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان بكل من صباح وعمر أبو حليمة في منزلهما في منطقة السيفا في الشمال الغربي لقطاع غزة. قالت صباح: "كنا جميعاً في غرفة النوم، ولكننا كنا فزعين وكان علينا أن نغادر. ذهبنا إلى الممر لأننا اعتقدنا بأنه أكثر أماناً."

وفي حوالي الساعة الثالثة عصراً، اخترقت قذيفة فسفورية سقف الممر: "اخترقت قذيفة السقف، وانفجرت مباشرة فوق رأس زوجي،

أجريت المقابلة مع:
صباح أبو حليمة
عمر أبو حليمة

تاريخ الحادث:
٤ يناير ٢٠٠٩

المكان:
منطقة السيفا

الضحايا:
سعد الله أبو حليمة (٤٥ عاماً): قتل
عبد الرحيم أبو حليمة (١٤ عاماً): قتل
زيد أبو حليمة (١١ عاماً): قتل
حمزة أبو حليمة: (١٠ أعوام): قتل
شهد أبو حليمة (عام): قتل
غادة أبو حليمة: توفيت متأثرة بجراحها
يوسف أبو حليمة: إصابة
علي أبو حليمة (١٥ عاماً): إصابة
عمر ابو حليمة (١٧ عاما): إصابة
فرح أبو حليمة: إصابة

انتهاكات القانون الدولي:
القتل العمد:
مخالفة جسيمة لاتفاقيات جنيف
الاستهداف المباشر للمدنيين:
المادة ٨(٢)(ب)(١) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية
شن هجمات عشوائية:
المادة ٨(٢)(ب)(٤) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية

وفوق أولادي. قطع رأس زوجي وقتل كل من زيد وحمزة على الفور. اشتعلت النيران في كل مكان وكان كل شيء ساخناً جداً. كان ابني زيد يصرخ قائلاً 'النار، النار.' ثم سمعته ينطق الشهادتين، وبعدها صمت. كان هناك دخان كثيف، واعتقدت بأنني إن لم أمت من النار فسوف أموت من الدخان. كانوا جميعاً بجانبي، ولكنني لم أتمكن من رؤية أحد منهم. كنت أسمع أصواتهم فقط. سمعت ابني الآخر وهو يقول بأنه يريد أن يصلي. عندما عثرنا عليه فيما بعد، كان يحمل سجادة الصلاة. دفناه مع السجادة."

لحظة شن الهجوم، كانت صباح ترضع ابنتها شهد التي كان عمرها ١٧ شهراً. قالت صباح: "انفجرت القنبلة الثانية فوقي، فأسقطت ابنتي في النار. كانت تصرخ 'ماما، ماما'، لكنني لم أستطع فعل شيء. لم أتمكن من رؤية شيء. كنت في النار معها. حتى عندما كنت في النار، لم أكن أشعر بحرارتها. ولكن كنت أسمع صوت أطفالي. كانوا يطلبون النجدة ولكنني لم أستطع فعل شيء."

"كنت أضطجع على جانبي الأيمن، ولم أعرف أين يمكن أن أجد شهد لأن النار كانت في كل مكان. لم أتمكن من رؤية شيء. بقيت بجانب الجدار، ولكنه كان ساخناً جداً، وكانت الأرضية حمراء. فقدت بصري للحظة. عندما نظرت إلى نفسي، وجدت نفسي عارية. احترقت ملابسي وكان وجهي أسوداً. لو أنني رأيت نفسي فلربما فقدت عقلي."

عندما خرجت صباح من المنزل، رأت ابنيها اللذين لم يتواجدا في المنزل ساعة الهجوم. تذكرت صباح: "لم يكونا في المنزل ساعة الهجوم. كانا يسألانني عما حدث، فقلت لهما، 'اذهبا وابحثا عن أبيكما وعن أخوتكما وأختكما. يمكنني أن أهتم بنفسي'. أخيراً وجد عمر أباه وأشقاءه محترقين كلياً. تعرفا على أبيهما فقط من ساقيه."

بعد الهجوم، حاولت العائلة الاتصال بسيارات الإسعاف، ولكن لم تتمكن أي من سيارات الإسعاف من الوصول إلى المنطقة بسبب خطورتها. تمكن عمر من إيجاد جرار زراعي وشاحنة لنقل القتلى والجرحى إلى المستشفى. تم نقل جثة شهد وكذلك غادة وابنتها فرح اللتان كانتا قد أصيبتا بجروح خطيرة بواسطة الجرار الزراعي. رافق كل من علي ومحمد سعد ومطر ونبيلة وعمر الجرار الزراعي الذي كان يقوده محمد حكمت.

عندما وصل الجرار الزراعي بالقرب من مدرسة عمر بن الخطاب، اعترضته قوات الاحتلال الإسرائيلي التي كانت تتمركز في منازل مقابلة للمدرسة المذكورة. قال عمر: "كان هناك أكثر من ١٠ جنود. كانوا في أحد الشرفات في منزل عائلة أبو غنيمة. كنت في نقطة منخفضة وكانوا هم في نقطة مرتفعة. أمرونا برفع أيدينا. حتى أننا قمنا برفع ملابسنا. وعلى الفور، أطلقوا النار على محمد ومطر فقتلوهما، حيث كان محمد يقود الجرار الزراعي وكان مطر بجانبه. كنت أحمل جثة شهد، فطلب مني الجندي بأن ألقيها على الأرض، ولكنني وضعتها على الجرار. بعد أن أنزلتها، أطلق علي النار فأصابني في ذراعي. كانت نبيلة تصرخ 'دعوني آخذ الأطفال'، فأطلقوا عليها النار وأصابوها في كتفها الأيسر. ثم طلبوا من محمد أن يخلع جميع ملابسه."

تابع عمر حديثه قائلاً: "أنا نجوت. أمروا محمد بأن يأخذ الآخرين وأن يذهب سيراً على قدميه. طلب منهم أن يأخذ القتلى، ولكن الجنود أخبرونا بأن نتركهم. سرنا لمسافة كيلومتر تقريباً، ولم نتمكن من العثور على أي سيارات." بقيت جثث القتلى في المكان حتى تاريخ ٩ يناير، عندما حصلت اللجنة الدولية للصليب الأحمر على تنسيق من إسرائيل للسماح لسيارة إسعاف من جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني بالدخول إلى المنطقة. ولكن لم يتمكن طاقم سيارة الإسعاف من العثور على جثة شهد. قالت صباح: "أخذتها الكلاب إلى منطقة السلاطين. عثرنا عليها بدون سيقان، لقد أكلت الكلاب ساقيها."

عمر وفرح أبو حليمه © سارة ماليان/ المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان

ذهبت صباح مع السيارة الأخرى في محاولة للوصول إلى مستشفى كمال عدوان. "أخذنا جثة زوجي وباقي القتلى في شاحنة تابعة لأحد

أقربائنا. لففنا الجثث ببطانيات. حتى البطانيات كانت لا تزال تحترق." وعندما وصلت السيارة إلى مفترق العطاطرة، أطلقت قوات الاحتلال الإسرائيلي المتمركزة في المكان النار. "أمرونا بأن نترك السيارة وجثث القتلى. قامت إحدى الجرافات بدفع السيارة في حفرة وغطتها بالتراب. بتاريخ ١٤ يناير، حصلت اللجنة الدولية للصليب الأحمر على تنسيق للسماح لسيارة إسعاف من جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني بالبحث عن جثث القتلى. تعرفنا عليهم من البطانيات ومن السيارة."

قالت صباح: "بقي ستة من أطفالي وفقدت أربعة. فقدت ابنتي. كنت أحلم بأن يكون لي ابنة، كنت أحبها كثيراً. لا يمكنني أن أتخيل الحياة دون زوجي ودون أطفالي الأربعة. لا يمكنني أن أتخيل الحياة في هذا المنزل ثانية. أخاف من البقاء في هذا المنزل. تبقى أختي معي طوال الوقت. لقد تركت أطفالها وزوجها وأتت للبقاء معي. لا أستطيع النوم في هذا المنزل، وألجأ كل ليلة لبيت أمي. لا أستطيع فعل أي شيء، وتساعدني أختي كي أرتدي ملابسي. لا أريد هذا المنزل مع أنني عشت هنا منذ ٢٥ عاماً. إن أردتم مساعدتي، أخرجوني من هنا."

مكثت صباح لمدة ١١ يوماً في أحد المستشفيات في القاهرة، ومكثت في مستشفى الشفاء في مدينة غزة لمدة ثلاثة أشهر، وهي الآن تتلقى العلاج من مؤسسة أطباء بلا حدود.

اضطر عمر، ابن صباح، إلى ترك المدرسة الثانوية لكي يعمل كمزارع ويعيل أسرته. احتلت القوات الإسرائيلية المنزل بعد أن غادرته العائلة. قالت صباح: "عندما عدنا إلى المنزل، لم نجد شيئاً نستخدمه للنوم ولم نجد مكاناً نجلس فيه. كان على الجيران أن يساعدونا." لقد لحقت أضرار جسيمة بالمنزل بسبب العدوان.

يوجد ثقوب في الجدران أحدثها إطلاق الرصاص، كما احترقت الأرضيات والجدران وكذلك الممر والغرف بفعل النيران. أما بلاط الأرضيات، فلا يزال ملطخاً بالدماء رغم محاولات العائلة لتنظيفه.

"كنت أظن بأنني أسعد امرأة في العالم، ولكنني الآن فقدت ابنتي وأبنائي وزوجي. أنا مثل أتعس امرأة في العالم، حتى أنني أخشى النوم. إنني أشعر بالفزع التام في هذا المنزل. أحتاج إلى طبيب نفسي."

أصيبت غادة، زوجة ابن صباح، وابنتها فرح بجراح خطيرة نتيجة الاعتداء.

يرى المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان بأن سقوط قتلى مدنيين نتيجة الهجوم على منزل عائلة أبو حليمة وكذلك قتل مدنيين في طريقهم إلى المستشفى يشكلان جريمة قتل عمد، وهي مخالفة جسيمة لاتفاقيات جنيف. ويعتبر الاستهداف المباشر للمدنيين جريمة حرب وفقاً للمادة ٨(٢)(ب)(١) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية. كما تشكل الطبيعة العشوائية لهذا الهجوم، وخاصة استخدام الفسفور الأبيض، جريمة حرب وفقاً المادة ٨(٢)(ب)(٤) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.

دراسة حالة رقم ١٠ : مسعودة السموني

«ليس عندي أمل ولا مستقبل. لقد فقدت كل شيء في العدوان».

مسعودة السموني

مسعودة السموني © سارة ماليان/ المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان

بتاريخ ٥ يناير ٢٠٠٩، كان حوالي ١٥٠ فرداً من عائلة السموني الممتدة التي تنتمي إليها مسعودة السموني (٢١ عاماً) يحتمون في منزل وائل السموني. في هذه الأثناء، استهدفت قوات الاحتلال الإسرائيلي التي كانت تنفذ عملياتها الحربية في المنطقة المنزل ومحيطه عدة مرات. ونتيجة للهجمات التي شنت في ذلك اليوم، لقي ٢١ فرداً من عائلة السموني حتفهم. كان محمد (٢٥ عاماً)، وهو زوج مسعودة، قد لقي حتفه خارج المنزل قبل شن الهجوم الرئيسي على المنزل. أما ابنها المعتصم بالله (١٠ شهور) فقد قتل بين ذراعيها، عندما اخترقت شظية واحدة قلبه. كما أصيب ابنها موسى في الهجوم وكذلك أصيبت مسعودة بجراح. كانت مسعودة حاملاً في شهرها الخامس في اليوم الذي شن فيه الهجوم. وبتاريخ ١٤ مايو ٢٠٠٩، وضعت طفلها محمد، الذي حمل اسم والده.

مكثت مسعودة في مستشفى القدس لمدة عشرة أيام. فقدت زوجها وابنها في الهجوم، كما تم تدمير منزلها بشكل كامل. تقطن مسعودة الآن مع عائلتها وواحد وثلاثين فرداً من أقربائها في منزل والدها.

بتاريخ ٢٥ يونيو ٢٠٠٩، التقى فريق من المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان بمسعودة ووالدتها، راوية السموني (٥٠ عاماً)، في منزلهما في حي الزيتون، جنوب شرق مدينة غزة. تذكرت مسعودة الأيام التي سبقت الهجوم قائلة: "كنا في منزلنا يوم السبت (٣ يناير)، عندما شعرنا بأن الأوضاع تتجه نحو الخطورة. كان هناك قصف وتفجيرات طوال الليل، كان كل ذلك فوق رؤوسنا. لم أكن قادرة على إرضاع ابني لأنني كنت حاملاً، ولم يكن بإمكاني الحصول على الحليب لإرضاعه."

"رأى شقيق زوجي الجنود يقتربون من المنزل. تحدث إليهم بالعبرية عبر أحد الفتحات في الجدار، فأمروه بأن يفتح الباب. دخل إلى المنزل حوالي ٣٠ جندياً، وكان هناك المزيد من الجنود في الخارج. قال والدي إنه ينبغي أن نغادر المنزل، لذلك توجهنا إلى منزل طلال السموني، وبقي الجنود في المنزل."

أجريت المقابلة مع:
مسعودة السموني (٢١ عاماً)
راوية السموني (٥٠ عاماً)

تاريخ الحادث:
٥ يناير ٢٠٠٩

المكان:
منطقة السموني، الزيتون

الضحايا:
محمد السموني (٢٥ عاماً): قتل
معتصم بالله السموني (عشرة أشهر): قتل
موسى السموني (٣ أعوام): إصابة
مسعودة السموني: (٢١ عاماً)): إصابة

انتهاكات القانون الدولي:
القتل العمد:
مخالفة جسيمة لاتفاقيات جنيف
شن هجمات عشوائية:
المادة ٨(٢)(ب)(٤) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية

بقيت مسعودة مع حوالي ١٥٠ فرداً من عائلتها الممتدة في منزل طلال السموني، ولكن بعد وصولهم إلى المنزل بقليل، اقترب الجنود الإسرائيليون من المنزل. قالت مسعودة: "أمرنا الجنود بالخروج من المنزل. قاموا أولاً بتفتيش الرجال، ثم قالوا لنا إن علينا أن نغادر المنزل. اعتقدنا بأن علينا الذهاب إلى مدينة غزة، ولكنهم أمرونا بالذهاب إلى منزل وائل السموني. كنا حوالي ١٥٠ فرداً في المنزل. تم تكبيل الرجال وعصب أعينهم."

"بقينا دون طعام أو مياه من الساعة الثامنة صباحاً وحتى ساعة متأخرة من بعد الظهر. قررت عمتي أن تحضر بعض الدقيق والماء لتعد الخبز في الخارج لكي يأكل الأطفال. كان الأطفال جميعهم جياعاً. قامت بإعداد الخبز على النار خارج المنزل، ولكن الخبز لم يكن كافياً لجميع الأطفال. كانت ساعات الظهيرة وكان هناك قصف وإطلاق نار طوال الوقت وكانت الأوضاع خطيرة للغاية. قال الآخرون إن مغادرة المنزل فيها مخاطرة كبيرة، وقد يطلق الجنود النار علينا إن خرجنا. كان الليل بارداً جداً ولم تكن هناك أغطية كافية حيث كان هناك الكثير من الأشخاص في المنزل. لم نستطع النوم."

بتاريخ ٥ يناير، بعد خروج أحد الموجودين في المنزل لجلب الماء وعودته، قررت مسعودة وأختها صفاء أن تحاولا العودة إلى منزلهما لإحضار الحليب والخبز للأطفال. "أخبرت زوجي بأننا نريد الذهاب، ولكنه رفض، قائلاً 'سأحضر بعض الحطب ونعد المزيد من الخبز'."

خرج محمد مع أربعة رجال آخرين لجلب الحطب. وبعد خروجهم من المنزل مباشرة، أطلقت طائرة إسرائيلية صاروخاً باتجاههم. قتل محمد وابن عمه، حمدي (٢٣ عاماً)، على الفور، بينما جرح الرجال الثلاثة الآخرون واضطروا إلى العودة إلى المنزل.

قالت مسعودة: "كان الثلاثة ينزفون كثيراً. وبمجرد أن رأيتهم ولم أر زوجي معهم، أدركت بأنه قتل. كنت أبكي وأصرخ. خرجت أختي صفاء لرؤية زوجها الذي أصيب بجراح، فقتلت على الفور".

وبمجرد عودة الرجال الجرحى إلى المنزل، تم قصف منزل وائل السموني بأربع قذائف. "كنت في أحد الزوايا مع أطفالي أشاهد ما يدور. كنت أصرخ وأبكي. رأيت كل شيء، الدماء والأدمغة. كان الدخان يملأ المكان. رأيت شقيق زوجي يسقط أرضاً، وكذلك حماتي. أدركت بأن أشقاء زوجي الثلاثة وحماتي قد قتلوا. كنت أحمل معتصم، ولكنني سقطت أرضاً لأنني أصبت بجراح في صدري ولم أقو على الحركة. كل ما قمت به أن رفعت إصبعي ونطقت بالشهادتين. كان موسى يمسك بي ويبكي، وكان إبراهيم يختبئ ورائي. كنت أحمل معتصم، حاولت أن أنظر إليه، فرأيته مضرجاً بالدماء. كانت شظية واحدة فقط قد اخترقت صدره مباشرة إلى قلبه، وكان ميتاً. كان موسى مصاباً في ظهره أيضا."

وبسبب الفزع، أضاعت مسعودة ابنها إبراهيم. "كنت أبحث عن إبراهيم. كنت أعتقد بأنه قد قتل أيضا. لم أستطع رؤية ابني بسبب الدخان. كان ابن عمي صلاح ينادي 'من بقي على قيد الحياة فليخرج'. جن جنوني، فقد كنت أعلم بأن معتصم قتل وأن موسى كان مصاباً، ولكنني لم أجد إبراهيم. لم أعرف ما أفعل، هل أبحث عن إبراهيم، أم أغادر. أخيراً رأيت إبراهيم في الخارج مع عمه. عندما خرجت من المنزل، كنت أحمل معتصم وموسى. أعطيت موسى لجارة لنا وقلت لها 'خذيه واركضي، فأنا لا أستطيع الركض'، وأعطيت معتصم لعمتي. لم أستطع الركض لأنني كنت مصابة ولأنني كنت حاملاً في الشهر الخامس."

غادرت مسعودة المنزل مع مجموعة كبيرة من أقربائها، ولكن بسبب إصابتها، لم تستطع التحمل لوقت طويل فانهارت. قالت مسعودة: "اعتقدوا بأنني مت، ولكنني لم أمت. فقط لم أقو على الاستمرار."

راوية التي غادرت المنزل بعد مسعودة بوقت قصير مع مجموعة أخرى أخبرتنا قائلة: "رأيت المجموعة التي كانت تتقدمنا، لذلك قررنا أن نلحق بهم. كنت أصرخ على الجنود 'دعونا نذهب، دعونا نذهب، فنحن معنا أطفال'. سمحوا لنا بالذهاب، ولكنهم أمرونا أولاً برفع ملابسنا. مشينا باتجاه (مدينة) غزة. رأينا امرأة كانت ملقاة على الأرض أمامنا. تركوها ومضوا لأنهم اعتقدوا بأنها ميتة. عندما اقتربت، أدركت بأنها ابنتي. لمت صفاء (شقيقة مسعودة) لأنها لم تحملها، ولم أكن أعلم بأن صفاء قد قتلت. كانت مسعودة فاقدة للوعي. طلبنا منها أن تقوم بأي إشارة، ولكنها لم تستجب. قال زوجي بأن علينا أن نأخذها إلى المستشفى في الحال، سواء كانت على قيد الحياة أم لا، فنحن لا نعلم. حملناها وكنا محظوظين فقد صادفنا سيارة أمامنا. كانت سيارة صديق ابني. كان خائفاً

جداً من قيادة السيارة، لذلك قام ابني بقيادة السيارة. كان الوضع في غاية الخطورة وكان القصف في كل مكان."

قامت العائلة بنقل مسعودة إلى مستشفى الشفاء وسط مدينة غزة. قالت راوية: "عندما وصلنا إلى مستشفى الشفاء، كان المستشفى مكتظاً بأفراد من عائلة السموني."

قالت مسعودة: "زوجي وأمه وأشقاؤه الثلاثة وابني جميعهم ماتوا. كان لحماتي ثمانية أبناء وابنتين، فقدت منهم أربعة، وقتلت هي أيضا. تزوج والد زوجي مرة ثانية، وزوجته عمرها ٢٦ عاماً. مكثت في مستشفى القدس لمدة عشرة أيام. رأيت معتصم قبل أن يواروه الثرى."

بعد مغادرتها المستشفى، ذهبت مسعودة للمكوث في بيت عمتها في مدينة غزة، حيث كانت قوات الاحتلال الإسرائيلي لا تزال تحتل منطقة السموني. عادت مسعودة إلى منزلها بعد وقف إطلاق النار: "عندما عدت، رأيت ما حل من خراب ودمار. لقد فقدنا كل شيء، ودمر منزلي بشكل كلي. أعيش الآن مع أمي، ولكنهم خصصوا لي غرفة، لذلك يمكن أن أتمتع ببعض الخصوصية مع أطفالي. لدي موقد غاز صغير استخدمه للطبخ، وأحضر لي أخي تلفازاً صغيراً."

مسعودة، الأرملة الشابة، ليس لديها رغبة في الزواج ثانية: "لا أريد أن أتزوج ثانية. رآني فلسطيني يعيش في أبو ظبي على شاشة التلفاز وطلب مني أن أتزوجه، ولكنني لا أريد. قال والدي إنني لست مضطرة للزواج وأن بإمكاني البقاء هنا. عندما كنا في المنزل ساعة الهجوم، كنا نعلم بأننا على وشك أن نموت. طلب مني زوجي ألا أتزوج وأن أعتني بالأطفال، وقلت الشيء نفسه له. قلت له إنني لو مت شهيدة، فسوف أنتظره في الجنة."

قالت مسعودة لطاقم المركز بأنها تحلم بالحصول على المال لكي تعيد بناء منزلها: "قام والد زوجي باستئجار شقة في مدينة غزة مع زوجته الجديدة، ونحن بقينا هنا."

راوية، والدة مسعودة، أخبرت طاقم المركز إن حما مسعودة أخذ كل النقود التي حصلت عليها عائلة ابنه: "لا تملك أي نقود. أخذ والد زوجها مبلغ ٤٠٠٠ يورو قدمتها الحكومة لهم، كما أخذ النقود التي قدمها برنامج الأمم المتحدة الإنمائي. أخذها كلها."

كان محمد، زوج مسعودة، يعد الشاي والقهوة في أحد الاتحادات الزراعية المحلية، وكان يتقاضى ٨٠٠ شيكل في المقابل (ما يعادل ٢٠٠ دولار تقريباً). تتقاضى مسعودة الآن مبلغ تقاعد قيمته ١٣٠ شيكلاً شهرياً (حوالي ٣٣ دولار أمريكي) من الاتحاد كراتب تقاعد لزوجها، وهذا هو دخلها الوحيد.

أخبرت مسعودة طاقم المركز: "ليس عندي أمل ولا مستقبل. لقد فقدت كل شيء في العدوان."

كان والد مسعودة ووالدتها يزرعان الخضار لبيعها في السوق، ولكن قوات الاحتلال الإسرائيلي دمرت الأرض التي كانا يزرعانها، وفقدا مصدر رزقهما الوحيد. قالت راوية: "عند عودتنا، لم نجد شيئاً، لم نجد حتى بطانيات. لا نملك المال لإصلاح أو شراء أي شيء. ولكننا الآن فقدنا الأرض. بعد العدوان مباشرة، كانت مؤسسات عديدة تقدم لنا الطعام والمساعدة، ولكن الآن لا يوجد شيء. كيف لي أن أعبر عما في نفسي، كل شيء صعب. ابنتي لم يعد لها زوج، ولديها ثلاثة أطفال. فقدنا كل شيء. البيت فارغ. غرفة النوم، البطانيات، الملابس، الثلاجة، الغسالة، فقدنا كل شيء."

تحدثت مسعودة عن مولد ابنها وعن حياة أطفالها: "كنت حزينة عندما ولد طفلي. تذكرت زوجي. كان يعتني بالأطفال عند ولادتي. يذهب أطفالي إلى الروضة الآن. سيذهب إبراهيم إلى المدرسة في العام القادم، إن شاء الله. هو لا يستطيع الكلام بشكل جيد، فقد شق عليه الأمر بعد العدوان. أما ابني موسى، فيبقى إلى جانبي طوال الوقت. دائماً يسألني أطفالي عن أبيهم. ابني إبراهيم يقول 'أخبريه بأنني لن أبكي عندما يغضب مني'. ذهب إلى منزلنا القديم ورأى دراجته القديمة، فقال 'لقد دمر الإسرائيليون دراجتي، ولكن أبي سيحضر لي واحدة جديدة'. إنه يرفض أن يصدق بأن والده قد رحل، حتى أنه يرفض أن ينادي شقيقه الصغير بمحمد، قائلاً إن هذا اسم أبيه."

"إنه لا يتلقى أية مساعدة. لا أحد يأتي لمساعدته. بعض المؤسسات تأتي للعب مع الأطفال، ولكنهم بحاجة إلى مساعدة حقيقية."

كانت حالة عائلة السموني إحدى أشهر الحالات في العدوان، وبثت صور أفراد العائلة في العديد من وسائل الإعلام في مختلف أنحاء العالم، كما قامت العديد من منظمات حقوق الإنسان والمنظمات الإنسانية بزيارة العائلة. ولكن، برغم وجود هذا المستوى من الاهتمام، لم تتلق العائلة المساعدة الحقيقية التي تحتاجها. لقد توقفت غالبية المساعدات التي كانت تقدم للعائلة، ويتلقى أفرادها الآن كميات محدودة من المساعدات التي تقدمها المؤسسات المحلية. في ظل هذا الوضع، تستمر الظروف المعيشية للعائلة في التدهور، ويعيش الأفراد الناجون من العائلة في فقر مدقع دون مصدر للدخل.

محمد السموني© سارة ماليان/ المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان

إن الهجوم على منزل وائل السموني يعتبر هجوماً عشوائياً، وهو أحد الجرائم التي وردت في المادة ٨(٢)(ب)(٤) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية. ويرى المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان بأن سقوط قتلى من المدنيين نتيجة الهجوم على منزل عائلة السموني يشكل جريمة قتل عمد، وهي مخالفة جسيمة لاتفاقيات جنيف. هذا ولم يتمكن المركز من تحديد ما إذا كانت المروحيات الإسرائيلية قد شاركت في الهجوم أم لا، وهو أمر، إن ثبت، فقد يشكل هذا الهجوم أيضا نوعين إضافيين من جرائم الحرب، كما ورد في المادة ٨(٢)(ب)(١) و(٢) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.

عدم اتخاذ
الاحتياطات الكافية عند شن الهجوم

«لماذا نطلق قذائف الفسفور؟
لأنه أمر ممتع. ممتاز.»

شهادة رقم ٨، تقرير كسر الصمت الخاص بعملية الرصاص المصبوب

يقتضي القانون الدولي الإنساني العرفي بأن«يُتوخى الحرص الدائم في إدارة العمليات العسكرية على تفادي إصابة السكان المدنيين، والأشخاص المدنيين، والأعيان المدنية. وتتخذ جميع الاحتياطات العملية لتجنب إيقاع خسائر في أرواح المدنيين، أو إصابتهم، أو الإضرار بالأعيان المدنية بصورة عارضة، وتقليلها على أي حال إلى الحد الأدنى.»[٣٦]

وبالتالي، تنص المادة ٥٧ (٢) من البروتوكول الإضافي الأول الملحق باتفاقيات جنيف المعقودة في ١٢ آب/ أغسطس ١٩٤٩المتعلق بحماية ضحايا المنازعات الدولية المسلحة على ما يلي:

أ) يجب على من يخطط لهجوم أو يتخذ قرار بشأنه :

أولا : أن يبذل ما في طاقته عملياً للتحقق من أن الأهداف المقرر مهاجمتها ليست أشخاصاً مدنيين أو أعياناً مدنية وأنها غير مشمولة بحماية خاصة، ولكنها أهداف عسكرية في منطوق الفقرة الثانية من المادة ٥٢، ومن أنه غير محظور مهاجمتها بمقتضى أحكام هذا الملحق «البروتوكول».

ثانياً : أن يتخذ جميع الاحتياطات المستطاعة عند تخير وسائل وأساليب الهجوم من أجل تجنب إحداث خسائر في أرواح المدنيين، أو إلحاق الإصابة بهم أو الأضرار بالأعيان المدنية، وذلك بصفة عرضية، وعلى أي الأحوال حصر ذلك في أضيق نطاق.

ثالثاً : أن يمتنع عن اتخاذ قرار بشن أي هجوم قد يتوقع منه، بصفة عرضية، أن يحدث خسائر في أرواح المدنيين أو إلحاق الإصابة بهم، أو الأضرار بالأعيان المدنية، أو أن يحدث خلطاً من هذه الخسائر والأضرار، مما يفرط في تجاوز ما ينتظر أن يسفر عنه ذلك الهجوم من ميزة عسكرية ملموسة ومباشرة.

ب) يلغى أو يعلق أي هجوم إذا تبين أن الهدف ليس هدفاً عسكرياً أو أنه مشمول بحماية خاصة أو أن الهجوم قد يتوقع منه أن يحدث خسائر في أرواح المدنيين أو إلحاق الإصابة بهم، أو الأضرار بالأعيان المدنية، أو أن يحدث خلطاً من هذه الخسائر والأضرار، وذلك بصفة عرضية، تفرط في تجاوز ما ينتظر أن يسفر عنه ذلك الهجوم من ميزة عسكرية ملموسة ومباشرة،

ج) يوجه إنذار مسبق وبوسائل مجدية في حالة الهجمات التي قد تمس السكان المدنيين، ما لم تحل الظروف دون ذلك.»

الأسلحة

وفقاً لمبدأ التمييز، لا ينبغي استخدام الأسلحة التي تكون عشوائية في طبيعتها في المناطق المدنية. على سبيل المثال، يعتبر القصف المدفعي لمنطقة مدنية يوجد فيها مقاتلون قصفاً عشوائياً، لأن من المستحيل توجيه هذا القصف إلى هدف عسكري محدد. كذلك، فإن استخدام قنبلة تزن عشرة أطنان لتدمير مبنى واحد يعتبر عشوائياً، لأن من المحتم أن تكون الآثار كبيرة جداً وسوف تؤدي إلى تدمير أو إلحاق الضرر بمبان مجاورة، بينما يكون من الكافي استخدام قنبلة أقل قوة لتدمير الهدف المراد. كذلك يعتبر استخدام الفسفور الأبيض في منطقة مأهولة بالسكان المدنيين استخداماً عشوائياً، نظراً للآثار المعروفة التي يسببها الفسفور الأبيض، والخطر الذي يشكله على السكان المدنيين، وأيضا لتوفر بدائل أقل ضرراً.

٣٦ القاعدة ١٥، جون-ماري هنكرتس ولويز دوزوالد-بك، القانون الإنساني الدولي العرفي، المجلد الأول: القواعد، اللجنة الدولية للصليب الأحمر.

الفسفور الأبيض

الفسفور الأبيض هو مادة كيميائية حارقة – يتم إطلاقها من خلال القذائف المدفعية والقنابل والصواريخ – تستخدم عادة لخلق ستار من الدخان للتغطية على التحركات الكبيرة للقوات. تحترق هذه المادة عند ملامستها للأكسجين، ويمكن أن يتواصل اشتعالها حتى الوصول إلى عظام الإنسان. وعلى الرغم من أن مادة الفسفور الأبيض لا يحظر استخدامها كسلاح، فإن استخدامها في المناطق المأهولة بالسكان المدنيين يعتبر انتهاكاً للقانون الدولي الإنساني العرفي. في البداية، أنكرت إسرائيل استخدامها للفسفور الأبيض في غزة، ولكنها اعترفت فيما بعد باستخدام قذائف من عيار ١٥٥ ملم، تحتوي كل قذيفة منها على ١١٦ شظية مغموسة بالفسفور الأبيض.[٣٧]

٣٧ 'إسرائيل متهمة باستخدام الفسفور الأبيض في غزة'، روري مكارثي، صحيفة الجارديان، ٢٥ مارس ٢٠٠٩. أيضا انظر موقع منظمة مراقبة حقوق الإنسان (هيومان رايتس ووتش) على الرابط:
http://www.hrw.org/en/news/2009/03/25/witness-accounts-andadditional-analysis-idf-use-white-phosphorus

دراسة حالة رقم ١١ : نجود الأشقر

«قررت أن لا أبكي أمامه. إن بكيت، فسوف أبكي بمفردي. لا يمكنني حتى الإجابة على أسئلته. إنه ليس ذنبي. هل كانت لي رغبة بأن أفقد أطفالي؟ هل كانت لي رغبة بأن أفقد يدي؟»

نجود الأشقر

نجود وصبري ومحمد الأشقر © سارة ماليان/ المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان

بتاريخ ١٧ يناير ٢٠٠٩، أصيبت نجود الأشقر بجراح بالغة عندما استهدفت المدرسة التابعة لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين التي كانت تحتمي فيها نجود مع عائلتها بقذائف تحتوي على الفسفور الأبيض. أصيبت نجود بجراح خطيرة في رأسها ويدها اليسرى وبترت يدها اليمنى. وفي الهجوم، قتل طفلاها، بلال (ستة أعوام) ومحمد (أربعة أعوام). كان حوالي ١٦٠٠ فلسطيني يحتمون في تلك المدرسة عند وقوع الهجوم. قبل وقوع الهجوم، كانت وكالة غوث وتشغيل اللاجئين قد أرسلت لسلطات الاحتلال الإسرائيلي الإحداثيات الجغرافية للمدرسة، حيث تم تحديد مبنى المدرسة بوضوح كونه أحد المرافق التابعة للأمم المتحدة، وإدراج المدرسة في قائمة خاصة بالملاجئ المؤقتة التابعة للأمم المتحدة أرسلت إلى سلطات الاحتلال قبل بدء عملية الرصاص المصبوب.

أمضت نجود أكثر من شهر في أحد المستشفيات المصرية لتلقي العلاج، وهي غير قادرة حتى هذه اللحظة على استخدام يدها اليسرى بشكل طبيعي. إنها لا تقوى على ارتداء ملابسها بمفردها، أو حمل ابنها صبري ذي العام ونصف العام أو القيام بالأشياء الروتينية العادية في الحياة اليومية. في كل يوم، يلومها زوجها على موت طفليهما.

بتاريخ ٢٩ أبريل ٢٠٠٩، التقى فريق من المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان بنجود الأشقر وزوجة شقيقها في منزلها في بيت لاهيا. عندما سألناها عن التفاصيل، أجابت نجود ببساطة: "لدي ثلاثة أبناء وابنة واحدة، فقدت اثنين من أبنائي في الحادث. الآن عندي ابن وابنة."

في فترة العدوان، وبسبب كثافة القصف، انتقلت نجود وعائلتها إلى منزل والدها القريب من منزلها. في البداية، على الرغم من أن جميع جيرانهم قد غادروا منازلهم، كانت نجود وعائلتها يخشون مغادرة المنزل. ولكن فيما بعد، أصبح الوضع في غاية الخطورة،

أجريت المقابلة مع:
نجود الأشقر
أزهار الأشقر

تاريخ الحادث:
١٧ يناير ٢٠٠٩

المكان:
مدرسة مشروع بيت لاهيا التابعة لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين

الضحايا:
بلال الأشقر (٦ أعوام): قتل
محمد الأشقر (٤ أعوام): قتل
نجود الأشقر: إصابة

انتهاكات القانون الدولي:
القتل العمد:
مخالفة جسيمة لاتفاقيات جنيف
شن هجمات عشوائية:
المادة ٨(٢)(ب)(٤) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية
شن هجمات على مرفقات تابعة للأمم المتحدة
المادة ٨(٢)(ب)(٣) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية

واضطر أفراد عائلة الأشقر إلى مغادرة منزلهم بتاريخ ٤ يناير. قالت نجود: "قررنا أن نذهب إلى المدرسة التابعة لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين (في مشروع بيت لاهيا) لأنها كانت آمنة. كنا نخشى المغادرة، ولكننا اضطررنا إلى ذلك لأن البقاء في المنطقة كان في غاية الخطورة. كان جميع من في المنطقة قد غادروا منازلهم ولم نتمكن من البقاء بمفردنا."

مكثت العائلة في المدرسة التابعة لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين لمدة ١٥ يوماً. كانت النساء والفتيات والصبيان الصغار ينامون في الطابق الثالث (الأخير) في المدرسة، بينما كان الرجال والفتيان الكبار ينامون في الطابق الثاني. قالت نجود: "كانت الحياة صعبة للغاية في المدرسة. قبل اليوم الأخير من العدوان، وفي اليوم الذي سبق وقوع الهجوم، كنت مع فتاة أخرى كانت قد أصيبت في قصف من الخارج. كنا نشعر بالرعب من فكرة أن نتعرض لهجوم. الأشخاص الذين كانوا قائمين على المدرسة قالوا بأن الأمور على ما يرام وأننا سنكون في مأمن. كنا نشعر بالرعب، ولكن لم يكن هناك مكان آخر نذهب إليه."

في الليل بين يومي السادس عشر والسابع عشر من يناير، قالت نجود بأنها كانت تشعر بالرعب أكثر من أي وقت مضى: "كنت أتحدث إلى نفسي طوال الليل، كنت أحاول أن أتخيل من أين سيأتي القصف... إن أتى من تلك النافذة، فأين سأذهب. ولكنني لم أستطع أن أتحرك إلى أي مكان، لم يكن هناك مجال للحركة، فقد كان في الفصل ٤٠ امرأة وطفل. قبل أن آوي إلى فراشي، أحضرت بطانية وغطيت أطفالي بالكامل تحسباً من تحطم النوافذ بفعل القصف. كنت أشعر بأن أمراً سيئاً سيحدث، كنت أشعر بالرعب طوال الليل. كنت أشعر بالرعب على مدار فترة العدوان، ولكن تلك الليلة كانت هي الأسوأ."

في الصباح الباكر، قامت أزهار، زوجة شقيق نجود، بإيقاظ نجود كي تريها القصف في الخارج. قالت نجود: "رأينا الفسفور، كنا مرعوبين. كان الظلام لا يزال يلف المكان، ولكن الضوء الذي ولده الفسفور أضاء حجرة الفصل. كان الأمر كما لو أن ناراً كانت تتقد في الخارج. حاول الأطفال المغادرة، ولكنني أخبرتهم بأن يلتزموا أماكنهم".

في حوالي الساعة الخامسة والنصف صباحاً، أوسخت مادلين، ابنة نجود، فراشها. وبعد نصف ساعة، قررت نجود أن تحاول تنظيف البطانية المتسخة على الشرفة في الخارج. "ناديت على أطفالي لينضموا إلي. كنت أعلم بأن الخطر يحدق بنا، لذلك أردتهم أن يكونوا قريبين مني. كان الأطفال على السلالم وكنت أنا أحمل صبري. طلبت من إحدى قريباتي أن تحمل صبري كي أتمكن من تجفيف البطانية. وبمجرد أن أعطيت صبري لقريبتي، شعرت بأنني أصبت، ولكنني لم أر شيئاً. أصبت بحروق في يدي وفي رأسي. قامت الفتاة التي كانت معي بوضع صبري على الأرض وهرعت إلى الداخل، ووقعت أنا عليه وفقدت الوعي."

قالت أزهار: "رأيت الفسفور. كان أبيض اللون، ناصع البياض. تغطى جسدي بالأبيض، كان الأمر كما لو أنني كنت مغطاة بالدقيق. أطلق صاروخ اخترق الممر وأحدث فيه ثقباً. رأيت الولدين وقد طالتهما النار. كانا لا يزالان يمسكان بالسلالم، ولكنهما سقطا على الأرض."

عندما رأت مادلين أمها وقد أصيبت، هرعت للبحث عن والدها في الأسفل وأخبرته بأن يأتي بسرعة. قالت نجود: "كان ابناي في بيت الدرج. كانا ميتين، ولكن زوجي لم يرهما. كان الظلام يعم المكان وكان هناك دخان كثيف. أخذني زوجي ثم فقت قليلاً وأدركت بأنني ما زلت على قيد الحياة. صرخت النساء عندما رأينني، فقد كنت مضرجة بالدماء وكنت أنزف. أخذني زوجي إلى الأسفل للبحث عن سيارة إسعاف ولكننا لم نعثر على أي سيارة إسعاف."

استعادت نجود وعيها في مستشفى كمال عدوان: "سمعت أحد الأطباء يقول إن هناك شهيداً، فقلت مباشرة 'ابني بلال'، فطلبت مني أحد الممرضات بألا أتكلم وأن أعتني بنفسي. لم أكن واعية حقاً لما يدور، وأشار إليّ زوجي بإصبعيه. عندها أدركت بأنه كان يقصد بأن ابنينا قد قتلا. كنت أرغب في الذهاب لتوديعهما. لم أكن أدري بما كان يجري، ولكن لو أحدهم أخبرني الآن لذهبت ورأيتهما، بالرغم من الوضع ومن الدماء، كنت سأحب رؤيتهما ثانية."

مكثت نجود في مستشفى كمال عدوان لمدة يومين. وفي العملية الأولى التي خضعت لها، تم بتر يدها اليمنى من عند الرسغ. وبتاريخ ١٩ يناير، تم تحويلها إلى مصر، حيث رافقتها زوجة شقيقها، سحر. مكثت نجود لمدة ٢٠ يوماً في

وحدة العناية المركزة، وكان مجموع ما أمضته في المستشفى المصري هو شهر وثلاثة أيام.

قالت نجود: «كان يأتي العديد من الأشخاص لزيارتي في المستشفى. كانوا فلسطينيين ومصريين أتوا ليشدوا من أزري. كانوا يسألونني دوماً إن كان لي أطفال، فكنت أجيبهم 'عندي أربعة أطفال، محمد وبلال وصبري ومادلين'. جاءوني بالهدايا كي أعطيها لأطفالي عندما أعود إلى غزة. إحدى النساء أحضرت ملابس لبلال ومحمد. عندما أحضرت الهدية، كان عندي شعور غريب، جن جنوني، كان علي أن أسمع صوت أطفالي. قالت لي سحر بأن أهدأ وأن أصبر. أصررت على الاتصال. اتصلت بشقيقي وطلبت منه أن أتحدث مع بلال، ولكنه قال لي بأنه كان مع شقيقتي نهاية، فقلت بأنني سأتصل بها. فقال لي انتظري، وقال لي بأن ابني قد مات. بدأت بالصراخ، تذكرت زوجي في المستشفى يشير لي بأصبعيه. فسألته إن كنت قد فقدت ابني الآخر، فقال نعم. قال لي بأن الأطباء طلبوا منه ألا يخبرني بسبب وضعي الصحي. جن جنوني، كان عليهم أن يعطوني شيئاً ليهدئني."

علمت نجود بموت ابنيها قبل عودتها إلى غزة بأسبوع واحد. بينما كانت تتذكر أيامها الأخيرة في مصر، قالت نجود: «اشتقت لأطفالي كثيراً، أردت أن أراهم وأن أعطيهم الهدايا التي أحضرها الأشخاص الذين قدموا لزيارتي. أردت أن أحضنهم. ولكنني فقدتهم، لم يعد لي أحد. كان ابناي هما كل حياتي، كانا الشخصين الوحيدين اللذين أحبهما. لم أرغب بالذهاب إلى المنزل لأنهما لم يكونا هناك.»

«كان هذان الولدان كل شيء في حياتي، فزوجي أصم وأبكم، كان ولداي يساعدانني، كانا يذهبان مع زوجي إلى كل مكان كي يترجما ما يرغب بقوله. كانا سندي في هذه الحياة. كيف لي أن أذهب إلى المنزل من دونهما؟ كان الجميع يقولون بأنني كنت محظوظة لأن لي هذين الابنين، لقد كانا ذكيين.»

بعد عودتها إلى المنزل، وجدت نجود أن من الصعب عليها أن تتأقلم مع الحياة بدون أطفالها: «في كل مرة كنت أذهب فيها لزيارة أحد، كنت أجد بلال ومحمد في انتظاري عند عودتي. لكنني لم أعد أراهما. مادلين تعتني بي، ولكن صبري صغير، وأنا بقيت في الخارج لفترة طويلة فأصبحت كالغريبة بالنسبة له. كم هو شاق علي أن أرى مادلين فقط. رفضت أن أعود إلى منزلي، صعب علي أن أبقى في البيت نفسه، الذي لا يتوقف الأشخاص فيه عن الأكل واللهو.»

في الوقت الحاضر، تخضع نجود للعلاج الطبيعي ليدها اليسرى المتضررة، تقدمه لها مؤسسة أطباء بلا حدود. ولكن التقدم الذي حققه العلاج الطبيعي لا يزال محدوداً حتى اليوم: «أجد صعوبة في تحريك يدي اليسرى. لا أستطيع الأكل بمفردي، زوجة شقيقي تقوم بكل شيء عني. لا أستطيع حتى أن أحمل ابني، فهو يبقى مع أمي لأنني لا أستطيع الاعتناء به. الآن أستطيع العيش فقط بفضل أزهار، أحلم بأن يكون لي يد صناعية، أو أن أتلقى العلاج الطبيعي حتى أتمكن من تحريك يدي اليسرى. لا يمكنني القيام بأي من الأعمال التقليدية، التنظيف والغسيل... لا يمكنني حتى أن أستحم.»

زوج نجود، وهو أبكم وأصم، يلومها على موت ابنيهما. «في كل يوم، عندما يراني زوجي، فإنه يلومني لأنني أخرجت الأطفال من حجرة الفصل. في كل يوم يقول بأنه ذنبي وبأنني قتلت ابنيّ.»

«كنت مهمة جداً في حياته، لكنه لا يستطيع تقبل أنه فقد ابنيه. إنه يقول 'الآن عندي ابن واحد، من سيهتم بنا عندما نشيخ؟'، وأصبح يعتقد بأنني لم أعد مهمة، كما يعتقد بأنه لا يمكنني الحمل مرة أخرى."

«قررت ألا أبكي أمامه. إن بكيت، فسوف أبكي بمفردي. لا يمكنني حتى الإجابة على أسئلته. إنه ليس ذنبي. هل كانت لي رغبة بأن أفقد أطفالي؟ هل كانت لي رغبة بأن أفقد يدي؟ منذ العدوان، أضع عليّ غطاء الرأس طوال الوقت، حتى في المنزل، لأنني فقدت شعري.»

تعتقد نجود بأن زوجها ربما يخطط للزواج ثانية: «سوف أكون حزينة على أطفالي إن تزوج ثانية. أنا في وضع سيء، كيف يمكنه أن يحضر زوجة ثانية؟»

قامت لجنة تحقيق تابعة للأمم المتحدة بالتحقيق في الهجمات التي شنت على مرافق الأمم المتحدة، بما فيها المدرسة التي كانت تحتمي فيها نجود وعائلتها، وتوصلت اللجنة إلى أن المدفعية الإسرائيلية هي السبب المسلم به

لحالات القتل والإصابة في المدرسة، وأن حكومة إسرائيل مسئولة عن قتل وإصابة أفراد من عائلات كانت تحتمي في المدرسة. وخلصت اللجنة إلى أن أفعال إسرائيل اتصفت إلى حد كبير بعدم المبالاة وهي ترقى إلى الاستهتار المبالغ فيه بحياة وأمن الأشخاص الذين كانوا يحتمون بالمدرسة. ويؤكد المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان بأن قوات الاحتلال الإسرائيلي لم تتخذ الاحتياطات اللازمة عند شن الهجوم.

إن قتل كل من بلال ومحمد يشكل جريمة قتل عمد وهي مخالفة جسيمة لاتفاقيات جنيف. كما أن استخدام الفسفور الأبيض يشكل انتهاكاً لأحكام القانون الدولي العرفي المتعلقة بمبدأ التمييز والاحتياطات اللازم اتخاذها عند شن الهجوم. وبالتالي، فإن هذا الهجوم الذي شن على أحد المرافق التابعة للأمم المتحدة والذي كان يؤوي مدنيين يشكل نوعين من الجرائم، كما ورد في المادة ٨(٢)(ب)(٣) و(٤) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.

أثر الحصار

إن للحصار المفروض على قطاع غزة – وهو أحد الأشكال غير المشروعة من العقاب الجماعي المحظور بوضوح بموجب المادة ٣٣ من اتفاقية جنيف الرابعة – آثاراً سلبية كثيرة على أوضاع حقوق الإنسان في الأراضي الفلسطينية، تمس بكافة مناحي الحياة دون تمييز. إن هذا الحصار يشكل انتهاكاً للعديد من نصوص القانون الدولي لحقوق الإنسان، بما في ذلك الحق في الحياة، والحق في التمتع بمستوى معيشي ملائم، والحق في حرية الحركة والتنقل، والحق في التمتع بأعلى مستوى من الصحة البدنية والنفسية، والحق في التعليم، والحق في العمل.

في دراسة الحالة التالية، تم منع أيهم، ابن رغدة عبد ربه، من الحصول على العلاج اللازم الذي كان من شأنه إنقاذ حياته والذي لم يكن متوفراً في قطاع غزة. واستمر هذا المنع لفترة طويلة من الزمن إلى أن توفي بتاريخ ١٦ أبريل ٢٠٠٩. تنص المادة ١٧ من اتفاقية جنيف الرابعة على أن «يعمل أطراف النزاع على إقرار ترتيبات محلية لنقل الجرحى والمرضى والعجزة والمسنين والأطفال والنساء النفاس من المناطق المحاصرة أو المطوقة.»

دراسة حالة رقم ١٢ : رغدة عبد ربه

«كانت درجة حرارة أيهم ٣٠ درجة فقط، كان لونه أزرق داكن، وكان بالكاد يتنفس.»

كرم عيد

رغدة وديما عبد ربه © المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان

كانت رغدة عبد ربه (٢٢ عاماً) حاملاً في الشهر السابع عندما بدأت عملية الرصاص المصبوب. بتاريخ ١٦ يناير، أي قبل وقف إطلاق النار بيومين، وضعت رغدة مولودها أيهم. وبسبب القتال الجاري وحدوث الولادة بشكل مفاجئ، لم تتمكن العائلة من الوصول إلى المستشفى، واضطرت رغدة إلى الولادة في المنزل. لم تكن هناك كهرباء، وكان المنزل بارداً للغاية حيث كانت النوافذ محطمة بفعل القصف.

توفي أيهم بتاريخ ١٦ أبريل ٢٠٠٩ عندما كان عمره ثلاثة أشهر بسبب عدد من الأمور المعقدة المتعلقة بولادته المبكرة.

بتاريخ ٥ مايو ٢٠٠٩، التقى فريق من المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان برغدة عبد ربه وزوجها كرم عيد (٣٨ عاماً) في منزلهما في بلدة جباليا. كان حوالي ٦٠ فرداً من العائلة الممتدة التي تنتمي إليها رغدة يحتمون في منزلهم خلال فترة العدوان، حيث اجتاحت قوات الاحتلال الإسرائيلي منطقة عزبة عبد ربه التي يقع فيها منزلهم.

أخبرت رغدة فريق المركز عن القلق الذي ساورها خلال العدوان قائلة: "كان لدي شعور بشيء يخبرني بأنني سأضع مولودي. كان علي أن أركض من مكان إلى مكان بسبب القصف، فكنت أصعد على السلالم وأنزل عليها. كنت قلقة. كان زوجي يقول لي دوماً بألا أخاف وألا أركض وألا أقلق." وفي حوالي الساعة الثانية ظهراً من يوم السادس عشر من يناير ٢٠٠٩، وبينما كانت العائلة تقوم بإعداد طعام الغداء، قصفت إحدى الطائرات المقاتلة من طراز F-16 قطعة أرض مجاورة لمنزل العائلة. "تحطمت جميع النوافذ وهرعنا إلى الطابق السفلي. وبعدها بساعتين، شعرت بألم في معدتي. أصبح الألم قوياً جداً وعميقاً. قام زوجي بتفحص الأمر وعلم بأنني سأضع مولودي قريباً."

قال كرم: "حاولت الاتصال بسيارة الإسعاف، ولكن كان من المستحيل على الطواقم الطبية الوصول إلينا لأن الوضع كان في غاية الخطورة. كانت كل علامات الولادة تظهر على رغدة، فعرفت بأنها ستضع المولود. كانت في حالة هستيرية، وكان لونها يتغير، وكانت تهتز كالورقة. كانت رغدة محظوظة لأنني

أجريت المقابلة مع:
رغدة عبد ربه (٢٢ عاماً)
كرم عيد (٣٨ عاماً)

تاريخ الحادث:
١٦ يناير ٢٠٠٩

المكان:
عزبة عبد ربه، بلدة جباليا

الضحايا:
أيهم عيد (٣ شهور): وفاة

انتهاكات القانون الدولي:
المادة ١٢ من العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية
المادة ٢٤ من اتفاقية حقوق الطفل.

كنت في المنزل، فقد كنت أعمل في مستشفى القدس في تل الهوى خلال العدوان، وكنت متواجداً في المستشفى طوال الوقت تقريباً. لحسن الحظ، كنت في المنزل في ذلك اليوم."

عندما أدركت العائلة بأن سيارات الإسعاف لن تكون قادرة على القدوم، قرر كرم أن يبذلوا المحاولات كي تضع رغدة مولودها في المنزل. قالت رغدة: "كنت مرعوبة عندما علمت بأن سيارة الإسعاف لم تتمكن من القدوم، وأنه كان علي أن أضع المولود في المنزل. لقد وضعت طفليّ الآخرين في المستشفى، لذلك كنت مرعوبة."

وبالرغم من أن كرم يعمل طبيباً، إلا أنه لم يكن متأكداً من قدرته على القيام بعملية الولادة بمفرده: "أنا طبيب، نعم، ولكن مع أحد الذين تحبهم، يكون الأمر صعباً جداً. توجد امرأة مسنة بالقرب منا، تعمل قابلة، أرسلت أحدهم لإحضارها. كان الوضع خطيراً جداً لأن ذلك كان بعد انتهاء ساعات الهدنة (الساعات الثلاث لوقف إطلاق النار اليومي التي أعلنتها قوات الاحتلال الإسرائيلي). عندما وصلت المرأة المسنة، كانت رغدة في آخر مراحل الوضع. لم يكن لدينا أدوات، لم يكن معنا أي شيء، ولم تكن هناك كهرباء، ولا يوجد أي شيء نظيف. كان الأمر شبيهاً بعمليات الولادة التي كانت تجرى منذ ٥٠ عاماً».

قالت رغدة: «بدون تفكير، فجأة نزلت مني المياه. كانت عملية الوضع سهلة، وانتهت بعد حوالي ساعة ونصف الساعة. كنت خائفة على أيهم أكثر من خوفي على نفسي. فقد ولد خديجاً، وكان ينبغي أن يتم وضعه في الحضانة. كانت خائفة عليه أكثر من خوفي على نفسي. فعلنا ما في وسعنا...»

قال كرم: «وضعت رغدة المولود بسلام، بحمد الله. كان أيهم خديجاً، ولكنه كان يتنفس. لكن لم يكن في البيت أي نوافذ، وكان الجو بارداً جداً. بذلت ما في وسعي لأبقيه دافئاً، قمنا بغلي المياه وغطيناه بالبطانيات. كان يزن كيلوين اثنين أو ما يقارب ذلك فقط، وكان حجمه صغيراً جداً. كان لونه أزرق طوال الوقت، ولكنه بحمد الله كان لا يزال يتنفس. كان يعاني من مشاكل تتعلق بالغذاء والرضاعة. بعد القصف الذي حدث في الجوار، قرر أغلب الأشخاص الذين كانوا يقيمون معنا أن يغادروا. حتى عائلتي التي تقطن في الطابق السفلي غادرت المنزل. ولكن نحن لم نستطع المغادرة، لأن زوجتي كانت قد وضعت مولودها لتوها وكانت ضعيفة، وكان معنا طفل حديث الولادة. كنا نشعر بالرعب التام، فمن ساعات بعد الظهيرة وحتى اليوم التالي، كانت هي الأوقات الأصعب التي عشتها في حياتي. كان الليل مثل الجحيم».

وفي الساعات الأولى من صباح يوم السابع عشر من يناير، قررت العائلة أخذ أيهم إلى المستشفى. قال كرم: «ذهبنا إلى مستشفى العودة، ولكنهم أخبرونا بأن علينا أن نأخذ أيهم إلى مستشفى النصر للأطفال للحصول على حضانة. كانت درجة حرارة أيهم ٣٠ درجة فقط، كان لونه أزرق غامق، وكان بالكاد يتنفس. في مستشفى النصر، وضعوا له جهاز تنفس. مكث في المستشفى لمدة ستة أسابيع، حاولنا تحويله إلى إسرائيل. قمت بكل ما في وسعي. كان قرار السلطة في رام الله ألا يتم تحويل أي شخص من غزة إلى إسرائيل. ثم قالوا إن بإمكاننا إحضاره إلى مستشفى المقاصد في القدس. ولد أيهم بتاريخ ١٦ يناير وتم تحويله بتاريخ ١ مارس. مات هناك بتاريخ ١٦ أبريل، وكانت أمه معه.»

أمضت رغدة مدة ٢٢ يوماً مع أيهم في المستشفى في القدس. أبلغت رغدة بأن نتائج التشخيص المبدئي لم تكن جيدة: «أخبرني الطبيب أن وضع أيهم كان في غاية السوء، وأنه لم يكن يحرز أي تقدم. نصحني بالعودة إلى المنزل، لأن أيهم قد يمكث هناك لفترة طويلة، وقال لي إن ليس بوسعي فعل شيء. أدركت من البداية بأن أيهم كان في وضع سيء، وكان الطبيب صريحاً معي. ولكن عندما نزعوا عنه جهاز التنفس وبدأ أيهم بالقيام بردة فعل، ظننت بأنه قد يكون بخير.»

وفي المستشفى في القدس، أخبرت رغدة بأنه في حال وفاة أيهم، فإن الأطباء هناك لن يستطيعوا مساعدتها، وأنه سيتعين عليها حمل جثمان أيهم في صندوق والمرور من خلال معبر إيرز. أصيبت رغدة بصدمة كبيرة كما أصيبت بالرعب بسبب الوضع في القدس: «قررت الذهاب إلى المنزل، وطلبت من أمي أن تأتي. رأيت نساءً من غزة كن قد فقدن أطفالهن. عندما عرفت هذه النساء باحتمال عودتي، طلبت مني إحداهن أن أحمل جثة طفلها الميت وأوصله إلى منزلها. شعرت برعب شديد.»

عندما حصلت والدة رغدة على التنسيق اللازم لوصولها إلى القدس، كان أيهم قد فارق الحياة.

قال كرم: «كان عندنا أمل، لأنهم نزعوا عنه جهاز التنفس. عندما تلقينا الاتصال، كانت صدمة بالنسبة لنا. ولكن

الشيء الأسوأ كان هو الوضع القائم في المستشفى. قالوا بأن إعادة أيهم إلى المنزل هي مسئوليتنا. كيف لرغدة أن تحمله بصندوق وتأتي به إلى المنزل؟ قمنا بدفع مبلغ لسيارة إسعاف خاصة. كلفنا الأمر ٨٠٠ شيكل.»

كان على العائلة الحصول على تنسيق لنقل جثة أيهم من سيارة الإسعاف الموجودة في إيرز إلى غزة: «اتصلت باللجنة الدولية للصليب الأحمر... أخبروني جميعاً بأن ليس بإمكانهم الوصول إلى إيرز. لا يمكنكم تخيل الطريقة التي تحدثوا بها إليّ. كنت أباً فقد ابنه. لم يعاملونني حتى كإنسان. في النهاية، حصلت على التنسيق للذهاب إلى إيرز لأنه كان عليهم تبديل سيارة الإسعاف الموجودة هناك. لم يسمح الإسرائيليون لابني بالمرور قبل أن أقوم بالتأكد من هويته.»

إن قلة الاهتمام الطبي الذي حصل عليه أيهم والتأخيرات اللاحقة في وصوله إلى العلاج الضروري في الخارج هي نتيجة مباشرة للحصار المتواصل الذي تفرضه إسرائيل على قطاع غزة. ويشكل هذان الإجراءان مخالفة لالتزامات حقوق الإنسان الملقاة على عاتق إسرائيل بموجب المادة ١٢ من العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمادة ٢٤ من اتفاقية حقوق الطفل.

تحقيقات في عملية الرصاص المصبوب

«ولكن إذا نظرت إليها من الجانب الآخر، فإن هنالك أشخاصاً يستحقون الذهاب إلى السجن.»
الشهادة رقم ٣، تقرير كسر الصمت الخاص بعملية الرصاص المصبوب

شارك كل من النائب العام العسكري الإسرائيلي والنائب العام بشكل فعال في التخطيط لعملية الرصاص المصبوب وفي تنفيذها. ووفقاً لما كشفت عنه وسائل الإعلام الإسرائيلية، قدم مكتبا النائب العام العسكري والنائب العام الإسرائيلي الإطار القانوني المنظِّم للهجمات على قطاع غزة.[٣٨] وفي ضوء هذه العلاقة الحميمة، فإن من غير المستغرب أن يقوم النائب العام الإسرائيلي برفض الطلب الذي تقدمت به منظمات حقوق إنسان إسرائيلية بشأن إيجاد آلية مستقلة للتحقيق في قتل وإصابة مدنيين خلال عملية الرصاص المصبوب.

لقد قامت السلطات الإسرائيلية بإجراء تحقيقين داخليين في أحداث متعلقة بعملية الرصاص المصبوب. ويرى المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان بأن هذين التحقيقين غير كافيين وغير مناسبين بسبب العيوب الكبيرة التي تكمن في التحقيق، إلى جانب أمور أخرى.[٣٩] وخلص التحقيقان إلى أن القوات الإسرائيلية عملت وفقاً للقانون.

في يوم الاثنين الموافق ٣٠ مارس ٢٠٠٩، قام المحامي العام العسكري، أفيخاي ماندلبليت، بإغلاق ملف تحقيق إسرائيل في ما رواه الجنود الإسرائيليون حول جرائم مشتبه في ارتكابها في قطاع غزة. لقد أدلى الجنود بتصريحات خطيرة تضمنت ارتكاب جرائم حرب ومخالفات جسيمة لاتفاقيات جنيف الموقعة في العام ١٩٤٩، إلا أن التحقيق في ذلك أغلق بعد أحد عشر يوماً فقط.[٤٠]

وبتاريخ ٢٢ أبريل ٢٠٠٩، أعلنت السلطات العسكرية الإسرائيلية انتهاء خمسة ملفات تحقيق داخلية في سلوك قوات الاحتلال الإسرائيلي خلال العدوان العسكري الأخير على قطاع غزة. وادعت نتائج التحقيقات، التي أشرف عليها رئيس الأركان الإسرائيلي غابي أشكنازي، بأن التحقيقات كشفت عن عدد قليل للغاية من الحوادث التي تضمنت أخطاء استخبارية أو تنفيذية، ولكن قوات الاحتلال «عملت وفقاً للقانون الدولي على مدار العمليات القتالية في قطاع غزة.»[٤١]

وللأسف، فإن غياب المحاسبة، وما نتج عنه من ثقافة التمتع بالحصانة والإفلات من العقاب، هو سمة قديمة جداً من سمات الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية. منذ بدأ الاحتلال في العام ١٩٦٧، لم يتم تقديم دولة إسرائيل أو الأشخاص المشتبه فيهم بارتكاب جرائم حرب إلى محكمة ما ومحاكمتهم وفق قواعد السلوك الواردة في القانون الدولي. إن المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان يعتقد جازماً بأن غياب المحاسبة هذا يشجع على مواصلة ارتكاب انتهاكات للقانون الدولي وتقويض احترام سيادة القانون. إن المدنيين الفلسطينيين – الذين يتمتعون بالحماية بموجب القانون الدولي الإنساني – هم من يدفعون ثمن هذه الحصانة والإفلات من العقاب، حيث تتواصل معاناتهم على أيدي الاحتلال الوحشي غير القانوني.

إن الجرائم التي تم توثيقها في هذا التقرير، والجرائم العديدة الأخرى التي ارتكبتها قوات الاحتلال الإسرائيلي، تتطلب إجراء تحقيقات قضائية. ويجب محاربة ثقافة الحصانة والإفلات من العقاب، كما يجب دعم حق الضحايا في الوصول إلى آليات إنصاف قضائية فعالة.

---

٣٨ انظر يوتام فيلدمان ويوري بلو، "كيف يقوم الخبراء القانونيين في جيش الدفاع الإسرائيلي بتشريع الضربات التي تشمل المدنيين في غزة"، صحيفة هآرتس، ٢٣ يناير ٢٠٠٩، على الرابط http://www.haaretz.com/hasen/spages/1057648.html.

٣٩ للمزيد انظر، المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان، «'مبدأ وممارسة الولاية القضائية العالمية: نشاطات المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان في الأراضي الفلسطينية المحتل"، يوليو ٢٠٠٩.

٤٠ انظر البيان الصحفي الذي أصدره المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان، "إسرائيل تغلق التحقيق في جرائم الحرب المشتبه في ارتكابها في قطاع غزة"، 31 مارس ٢٠٠٩، على الرابط http://www.pchrgaza.org/files/PressR/arabic/2008/45-2009.html.

٤١ انظر البيان الصحفي الذي أصدره المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان، "المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان يدين المحاولات الإسرائيلية لإضفاء الشرعية على الجرائم المرتكبة في غزة وحماية مرتكبي هذه الجرائم من العدالة"، ٢٧ أبريل ٢٠٠٩، على الرابط http://www.pchrgaza.org/files/PressR/arabic/2008/56-2009.htm.

تعليقات

كان للعدوان الحربي الإسرائيلي آثاره المدمرة على الحياة في قطاع غزة. لقد فقد ١٤١٧ فلسطينياً أرواحهم، من بينهم ١١٧٧ مدنياً، وهم الأشخاص اللذين يتمتعون بالحماية بموجب القانون الدولي الإنساني. كما جرح ٥٣٠٣ فلسطينيين، أصيب العديد منهم بجراح خطيرة. ونتيجة لاستمرار فرض الحصار غير القانوني، يتواصل حرمان هؤلاء الجرحى الفلسطينيين من الوصول إلى العلاج الطبي المناسب والخدمات التأهيلية. فضلاً عن ذلك، تم تدمير ٥٣٥٦ منزلاً أو تحويلها إلى منازل غير صالحة للسكن، وهو ما أدى إلى تشريد ٥١٨٤٢ فرداً، منهم من بقي بلا مأوى ومنهم من يعيش في منازل مستأجرة، حيث تواصل دولة إسرائيل فرض الحظر على دخول مواد البناء إلى قطاع غزة ما يحول دون تمكن السكان المدنيين من إعادة إعمار منازلهم ومنشآتهم.

فقد السكان المدنيون أرواحهم وسبل عيشهم.

في ظل الظروف العادية، ستستغرق عملية الإعمار والانتعاش وقتاً طويلاً: فقد كان حجم الدمار والخراب اللذين خلفتهما قوات الاحتلال الإسرائيلية هائلاً. ولكن الحصار غير القانوني المتواصل يعني بأن عملية الانتعاش وإعادة الإعمار تبقى مؤجلة إلى أجل غير مسمى، فقطاع غزة لا يزال كما كان عليه في يوم ١٨ يناير ٢٠٠٩، يوم انتهى العدوان.

لقد أعطيت دولة إسرائيل الضوء الأخضر للتصرف بحصانة، فارتكبت انتهاكات لقواعد القانون الدولي الإنساني وقانون حقوق الإنسان مع تجاهل تام للمدنيين الذين تلتزم بحمايتهم واحترامهم، وأظهرت ولاءها واحترامها باللسان فقط للالتزامات القانونية التي تقع على عاتقها أمام المجتمع الدولي. لا يمكن السماح باستمرار هذا الوضع. إن كانت ٤٢ عاماً من الاحتلال قد علمتنا شيئاً، فهو أنه طالما تواصل منح إسرائيل الحصانة، فإنها ستواصل انتهاكاتها للقانون الدولي. وستتواصل معاناة المدنيين الفلسطينيين من العواقب المروعة.

لقد قام المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان بتوثيق عدد لا حصر له من انتهاكات القانون الدولي الإنساني التي ارتكبتها قوات الاحتلال الإسرائيلي العاملة في قطاع غزة، ويرقى العديد من هذه الجرائم إلى مستوى جرائم حرب ومخالفات جسيمة لاتفاقيات جنيف.

إن الطبيعة الواسعة والمنظمة لهذه الجرائم، ونمط شن الهجمات، تشير جميعها إلى احتمال ارتكاب جرائم ضد الإنسانية في قطاع غزة.

وتتطلب هذه الجرائم المشتبه بوقوعها إجراء تحقيقات قضائية، ويجب دعم حقوق الضحايا الشرعية في الوصول إلى آليات إنصاف قضائية فعالة. كما يجب التحقيق مع الإسرائيليين المشتبه فيهم بارتكاب جرائم حرب وتقديمهم للمحاكمة بموجب المعايير الدولية.

لا يمكن السماح باستمرار ثقافة الحصانة والإفلات من العقاب.

في هذا التقرير 'بعيون النساء'، تم توثيق ١٢ حالة لنساء تأثرن بالعدوان وبالحصار المتواصل. تعتبر هذه الحالات حالات توضيحية، تعكس واقع الحياة للنساء في قطاع غزة.

وتم تقديم حالات هذه النساء وقصصهن، على أمل عدم السماح بتكرار الجرائم الواردة في هذا التقرير.

الملحق رقم ١ :
الضحايا الإناث
لعملية الرصاص المصبوب

الاسم	العمر	مكان الإقامة	تاريخ الوفاة (القتل)	تاريخ الاعتداء	مكان الاعتداء
مريم عبد الرحمن شاكر أبو ظ اهر	87	بيت لاهيا / حي الاسراء/	17-Jan-09	17-Jan-09	بيت لاهيا / الشمال
كاملة علي مصطفى العطار	82	بيت لاهيا/ الشمال	05-Jan-09	05-Jan-09	العطاطرة/ الشمال
فاطمة محمد أحمد طبيل	82	النصيرات المخيم الجديد / الوسطى	10-Jan-09	10-Jan-09	النصيرات / الوسطى
مدللّه أحمد أبو ركبة	81	جباليا/ الشمال	12-Jan-09	12-Jan-09	جباليا / الشمال
خضرة العبد خليل الملح	80	الشجاعية /غزة	05-Jan-09	05-Jan-09	الشجاعية / غزة
حاكمة عبد الرحمن مصطفى العطار	78	العطاطرة / بيت لاهيا/ الشمال	18-Jan-09	18-Jan-09	العطاطرة/ الشمال
حليمة محمد محمد صيام	77	عزبة عبد ربه / الشمال	02-Jan-09	02-Jan-09	عزبة عبد ربه / الشمال
جميلة حسن زيادة زيادة	77	مشروع عامر / جباليا / الشمال	11-Jan-09	11-Jan-09	مشروع عامر/ الشمال
مريم مطاوع نصر الله مطاوعين	75	الشيخ عجلين/ غزة	04-Jan-09	04-Jan-09	الشيخ عجلين/ غزة
بدر محمد موسى أبو راشد	70	عزبة عبد ربه / الشمال	07-Jan-09	07-Jan-09	عزبة عبد ربه / الشمال
خديجة عبد الرازق عبد الفتاح زملط	70	م.جباليا/ الشمال	07-Jan-09	07-Jan-09	م. جباليا/ الشمال
عائشة عيد عياد البحري	70	بيت لاهيا/ الشمال	15-Jan-09	15-Jan-09	بيت لاهيا/ الشمال
سليمة مصلح صبحي سلام	70	شارع الكرامة / جباليا / الشمال	18-Jan-09	18-Jan-09	شارع الكرامة مقابلة محطة الجمل / الشمال
محضية سليمان محمد عياد	70	الزيتون/ غزة	18-Jan-09	18-Jan-09	الزيتون/ غزة
ليلى راشد وهدان ابو عقلين	66	تل الهوى/ غزة	15-Jan-09	15-Jan-09	تل الهوى / غزة
شمة سالم حسين ديب	65	م جباليا/ مقابل مدرسة الفاخورة / الشمال	06-Jan-09	06-Jan-09	م. جباليا/ الشمال
غنيمة مسعود محمد أبو حليمة	63	بيت لاهيا/ الشمال	05-Jan-09	05-Jan-09	بيت لاهيا/ الشمال
مطيعة عبد الرحمن إبراهيم السموني	63	حي الزيتون/ غزة	05-Jan-09	05-Jan-09	حي الزيتون/ غزة

الاسم	العمر	مكان الإقامة	تاريخ الوفاة(القتل)	تاريخ الاعتداء	مكان الاعتداء
فاطمة أبو جبه فرج علوش	63	جباليا / محافظة الشمال	31-Dec-08	31-Dec-08	جباليا / محافظة الشمال
فاطمة عوض خليل غبن	62	بيت لاهيا/ الشمال	18-Jan-09	18-Jan-09	بيت لاهيا / الشمال
حليمة محمد حسن بدوان	61	عزبة عبد ربه / الشمال	08-Jan-09	08-Jan-09	عزبة عبد ربه/ الشمال
جميلة عبد العزيز سالم الداعور	61	بيت لاهيا/ الشمال	04-Jan-09	04-Jan-09	بيت لاهيا/ الشمال
نظيرة محمد خالد أبو الكأس	61	جباليا / الشمال	18-Jan-09	18-Jan-09	جباليا/ الشمال
ليلى سلمان سليمان حمادة	61	التفاح/ غزة	05-Jan-09	05-Jan-09	التفاح/ غزة
هيجر إسماعيل يوسف انصيو	60	م.جباليا/ الشمال	06-Jan-09	06-Jan-09	م جباليا / الشمال
رزقه محمد محمود السموني	59	حي الزيتون/غزة	05-Jan-09	05-Jan-09	حي الزيتون/ غزة
كوكب سعيد حسين الداية	57	الزيتون/ غزة	06-Jan-09	06-Jan-09	الزيتون/ غزة
حليمة إسماعيل إبراهيم صالح	57	شرق بيت لاهيا – خلف التربية والتعليم / الشمال	09-Jan-09	09-Jan-09	بيت لاهيا/ الشمال
سارة عيد علي الحواجرى	57	عزبة عبد ربه / الشمال	27-Dec-08	27-Dec-08	موقع الإدارة / محافظة الشمال
ريا سلامة سلمان أبو حجاج	56	قرية وادي غزة – الوسطى	04-Jan-09	04-Jan-09	قرية وادي غزة / الوسطى
فاطمة محمود عبدالله عبيد	55	شرق عزبة عبد ربه / الشمال	17-Jan-09	17-Jan-09	عزبة عبد ربه/ الشمال
رقية محمد محمد أبو النجا	55	تل الهوى/ غزة	08-Jan-09	08-Jan-09	حي الزيتون/ غزة / غزة
رضا خليل حسن علي	53	خان يونس / خان يونس	02-Jan-09	02-Jan-09	مفترق نتساريم / غزة
شادية احمد جابر (حسن)	53	ابراج المقوسي/ غزة	14-Jan-09	14-Jan-09	ابراج المقوسي/ غزة
عائشة سليمان حماد رفيع	52	حي الزيتون/ غزة / غزة	27-Dec-08	27-Dec-08	حي الزيتون/ غزة / غزة
محظية شحادة حسن صالح	51	م.جباليا/ الشمال	06-Jan-09	06-Jan-09	م. جباليا/ الشمال
فدوى خليل محمد كحيل	50	حي الزيتون/ غزة	06-Jan-09	06-Jan-09	حي الزيتون/ غزة
زكية عبد الحي علي أبو عيطة	50	بيت لاهيا / الشمال	16-Jan-09	16-Jan-09	بيت لاهيا/ الشمال

الاسم	العمر	مكان الإقامة	تاريخ الوفاة (القتل)	تاريخ الاعتداء	مكان الاعتداء
رحمة محمد محمود السموني	50	حي الزيتون/ غزة	05-Jan-09	05-Jan-09	حي الزيتون/ غزة
دلال عاشور أسعد القطاطي "حنونة"	50	الزيتون/ غزة	11-Jan-09	11-Jan-09	الزيتون/ غزة
سميرة عفيف حسن موسى	48	الصبرة / غزة	15-Jan-09	14-Jan-09	الصبرة / غزة
ميسرة محمد محمد عدوان	48	بيت حانون / محافظة الشمال	27-Dec-08	27-Dec-08	حي الأمل / محافظة الشمال
رحاب عبد المنعم رمضان عوض	47	مخيم جباليا / قرب مدرسة الفاخورة / الشمال	06-Jan-09	06-Jan-09	مخيم جباليا / الفاخورة / الشمال
هيام عبد الرحمن ريان	46	م.جباليا/ الشمال	01-Jan-09	01-Jan-09	م. جباليا/ الشمال
إحسان محمد زكي الحداد	45	تل الهوى / غزة	15-Jan-09	15-Jan-09	تل الهوى / غزة
ليلى نبيه محمود السموني	45	الزيتون/ غزة	05-Jan-09	05-Jan-09	الزيتون/ غزة
روحية أحمد سليمان النجار	45	خزاعة / خان يونس	13-Jan-09	13-Jan-09	خزاعة / خان يونس
إيمان خليل ريان	45	م.جباليا/ الشمال	01-Jan-09	01-Jan-09	م. جباليا/ الشمال
عواطف سلمان سلامة ابو خوصة	43	حي الزيتون/ غزة	03-Jan-09	03-Jan-09	حي الزيتون/ غزة
فاطمة سعيد مصطفى سعد	43	جباليا/ الشمال	09-Jan-09	09-Jan-09	جباليا/ الشمال
رندة جمال فرج عبد ربه	43	جباليا/ الشمال	10-Jan-09	10-Jan-09	جباليا/ الشمال
لمياء حسن رشيد بشير	42	مشروع عامر / جباليا / الشمال	11-Jan-09	11-Jan-09	مشروع عامر / جباليا / الشمال
فاطمة صلاح إسماعيل صلاح	42	مخيم جباليا/ الشمال / الشمال	01-Jan-09	01-Jan-09	مخيم جباليا/ الشمال
حنان فتحي قديح "النجار"	41	خزاعة / خان يونس	10-Jan-09	10-Jan-09	خزاعة / خان يونس
نوال إسماعيل ريان	40	م.جباليا/ الشمال / الشمال	01-Jan-09	01-Jan-09	م. جباليا/ الشمال
إبتسام أحمد محمد القانوع	40	مقابل مدرسة معاوية بن ابي سفيان/بيت لاهيا/ الشمال	05-Jan-09	04-Jan-09	بيت لاهيا/ الشمال
أمل زكي عليوة	40	الشجاعية / غزة	05-Jan-09	05-Jan-09	الشجاعية / غزة
حنان شعبان عرابي النجار	40	جباليا/ الشمال	14-Jan-09	14-Jan-09	جباليا/ الشمال

الاسم	العمر	مكان الإقامة	تاريخ الوفاة(القتل)	تاريخ الاعتداء	مكان الاعتداء
خضرة عبد العزيز عبد العزيز عوض	40	مخيم جباليا / قرب مدرسة الفاخورة / الشمال	06-Jan-09	06-Jan-09	مخيم جباليا / الشمال
صافية سالم حسين أبو حيدر	40	العطاطرة / الشمال	07-Jan-09	07-Jan-09	العطاطرة/ الشمال
كفا محمد عبد الرحمن الندر	38	جباليا/ الشمال	14-Jan-09	14-Jan-09	جباليا/ الشمال
آمال مطر صالح ديب	38	مخيم جباليا/ مقابل مدرسة الفاخورة / الشمال	06-Jan-09	06-Jan-09	م. جباليا/ الشمال
إنتصار فريد سليمان المصري	35	بيت حانون شارع المصريين / الشمال	18-Jan-09	18-Jan-09	بيت حانون/ الشمال
ماجدة عبد الكريم أبوحجاج	35	قرية وادي غزة – الوسطى	04-Jan-09	04-Jan-09	قرية وادي غزة / الوسطى
رندة فايز محمد صالحة	35	م.بيت لاهيا/ الشمال	09-Jan-09	09-Jan-09	م. بيت لاهيا/ الشمال
رغدة فايز مصباح الداية	34	الزيتون/ غزة	06-Jan-09	06-Jan-09	الزيتون/ غزة
إيمان حسن محمود أبو عريضة	34	مخيم الشابورة / محافظة رفح	31-Dec-08	31-Dec-08	منتزه النجمة – مخيم الشابورة / رفح
سماح عطية محمد صيام	33	اليرموك/ غزة	15-Jan-09	15-Jan-09	اليرموك
أنعام عبد درويش بابا	32	بيت لاهيا – البراوي بالقرب من مسجد الانصار/ الشمال	10-Jan-09	10-Jan-09	بيت لاهيا/ الشمال
منال حسن علي البطران(ا لشعراوي)	32	بلوك 4 البريج / الوسطى	16-Jan-09	16-Jan-09	بلوك 4 البريج / الوسطى
راوية رجب عوض	32	الزيتون/ غزة	06-Jan-09	28-Dec-08	الشجاعية /غزة
روضه هلال حسين الداية	32	الزيتون/ غزة	06-Jan-09	06-Jan-09	الزيتون/ غزة
رباب عزات علي السموني	32	حي الزيتون/ غزة	05-Jan-09	05-Jan-09	حي الزيتون/ غزة
نهيل خالد أبو عيشة	32	الشاطئ/ غزة	05-Jan-09	05-Jan-09	الشاطئ/ غزة
فاتن عبد العزيز زنيد	31	القرارة / خان يونس	29-Dec-08	29-Dec-08	القرارة / خان يونس
عفاف ربيع حسن جمعة	30	جباليا/ الشمال	12-Jan-09	12-Jan-09	حي الصفطاوي / جباليا / الشمال
نجود رجب غبن	30	العطاطرة/ الشمال	08-Jan-09	08-Jan-09	بيت لاهيا/ الشمال
أمل عياد عودة (إرميلات)	30	بيت لاهيا / الشمال	15-Jan-09	15-Jan-09	بيت لاهيا/ الشمال

الاسم	العمر	مكان الإقامة	تاريخ الوفاة (القتل)	تاريخ الاعتداء	مكان الاعتداء
تزال إسماعيل محمد الداية	28	الزيتون/ غزة	06-Jan-09	06-Jan-09	الزيتون/ غزة
نازك حسن ياسين ابو ريا	28	تل الزعتر/ الشمال	27-Dec-08	27-Dec-08	المنتدى / غزة
عفاف محمد العبد ضميدة	28	شارع الشهيد صالح دردونة/ جباليا / الشمال	06-Jan-09	06-Jan-09	جباليا/ الشمال
ناي فايز يوسف حسن	28	تل الهوى / برج السعادة 4/ غزة	12-Feb-09	05-Jan-09	تل الهوى/ غزة
هبه جميل علي أبو عمشة (معروف)	28	الشجاعية /غزة	06-Jan-09	06-Jan-09	التفاح/ غزة
علا مسعود خليل عرفات	27	حي الزيتون/ غزة	07-Jan-09	04-Jan-09	الزيتون/ غزة
لبنى فؤاد توفيق الملح	27	الشجاعية / غزة	05-Jan-09	05-Jan-09	الشجاعية / غزة
إيمان نمر سلمان العر	27	عزبة عبد ربه شرق جباليا / الشمال	18-Jan-09	18-Jan-09	جباليا / الشمال
إسلام إسماعيل سليمان عبد الجواد	26	المغازي / الوسطى	06-Jan-09	06-Jan-09	المغازي / الوسطى
شيرين سعيد ريان	25	م.جباليا/ الشمال	01-Jan-09	01-Jan-09	م. جباليا/ الشمال
ألبينا فلاديمير يوسف الجرو	25	التفاح/ غزة	08-Jan-09	08-Jan-09	الشجاعية / غزة
صابرين فايز مصباح الداية	24	الزيتون/ غزة	06-Jan-09	06-Jan-09	الزيتون/ غزة
تهاني كمال أبو عايش	24	قرية وادي غزة / جحر الديك/ الوسطى	02-Jan-09	02-Jan-09	قرية وادي غزة / الوسطى
فريال كمال محمود البنا	24	جباليا/ الشمال	12-Jan-09	12-Jan-09	جباليا / الشمال
نسرين سليمان أبو سويرح	24	منطقة السوارحة / الوسطى	06-Jan-09	04-Jan-09	منطقة السوارحة / الوسطى
مآثر محمد زنيد	23	القرارة / خان يونس	29-Dec-08	29-Dec-08	القرارة / خان يونس
صفاء صبحي محمود السموني	23	الزيتون/ غزة	05-Jan-09	05-Jan-09	حي الزيتون/ غزة
فاطمة سمير شفيق ديب	23	م.جباليا/ مقابل مدرسة الفاخورة / الشمال	06-Jan-09	06-Jan-09	م. جباليا/ الشمال
أمل أحمد ياسين المدهون	22	بيت لاهيا / الشال	11-Jan-09	09-Jan-09	بيت لاهيا / الشمال
فاديه جابر جبر حويج	22	التفاح/ غزة	27-Dec-08	27-Dec-08	التفاح/ غزة

الاسم	العمر	مكان الإقامة	تاريخ الوفاة (القتل)	تاريخ الاعتداء	مكان الاعتداء
مها محمد إبراهيم السموني	22	حي الزيتون/ غزة	05-Jan-09	05-Jan-09	حي الزيتون/ غزة
رجاء محمد غبن	22	عزبة دواس/ بيت لاهيا/ الشمال	14-Jan-09	14-Jan-09	بيت لاهيا/ الشمال
هدى هاني حسني زهد	22	مخيم جباليا / الشمال	27-Dec-08	27-Dec-08	الجوازات / غزة
فاطمة فايز محمد الحو	22	جباليا/ الشمال	09-Jan-09	09-Jan-09	م. بيت لاهيا/ الشمال
ميساء منير يحيي كشكو	22	حي الزيتون/ غزة / غزة	28-Dec-08	28-Dec-08	حي الزيتون/ غزة / غزة
بيسان عز الدين محمد أبو العيش	21	عزبة عبد ربه شرق جباليا/ الشمال	16-Jan-09	16-Jan-09	عزبة عبد ربه/ الشمال
وفاء نبيل علي أبو جراد	21	بيت حانون / الشمال	07-Jan-09	05-Jan-09	بيت حانون/ الشمال
رشا أحمد خليل السكيري أبو جامع	21	القرارة / خان يونس	13-Jan-09	13-Jan-09	الزنة / خان يونس
إيمان عبد القادر أسليم	20	الرمال / غزة	15-Jan-09	15-Jan-09	الرمال / غزة
سمية جمعة سعيد سعد	20	جباليا/ الشمال	09-Jan-09	09-Jan-09	جباليا/ الشمال
فداء فريد سلامة أبو شعر	20	وادي السلقا/ الوسطى	06-Jan-09	06-Jan-09	وادي السلقا / الوسطى
آلاء معين شفيق ديب	20	مخيم جباليا / مقابل مدرسة الفاخورة / الشمال	06-Jan-09	06-Jan-09	م. جباليا/ الشمال
صفاء صالح محمد الداية	20	الزيتون/ غزة	06-Jan-09	06-Jan-09	الزيتون/ غزة
حنان خميس سعدي السموني	20	حي الزيتون/ غزة	05-Jan-09	05-Jan-09	حي الزيتون/ غزة
سامية فتحي عبد الفتاح صالح	19	م.جباليا/ الشمال	06-Jan-09	06-Jan-09	م. جباليا/ الشمال
جهاد كمال حسن أحمد	18	بيت لاهيا / الشمال	04-Jan-09	04-Jan-09	الشيخ عجلين / غزة
نعمة علي احمد المغاري	18	شارع البحر / محافظة رفح	27-Dec-08	27-Dec-08	كلية تدريب غزة وكالة الغوث / غزة
وفاء مروان علي الدسوقي	18	خان يونس/ خان يونس	27-Dec-08	27-Dec-08	شارع الصناعة / غزة
فداء محمد موسى العر	18	عزبة عبد ربه/ الشمال	18-Jan-09	18-Jan-09	عزبة عبد ربه/ الشمال
صابرين محمد عزارة أبوسماحة	18	بيت لاهيا/ الشمال	03-Jan-09	03-Jan-09	بيت لاهيا/ الشمال